الأشكال البديعيّة في ضوء الانسجام في القرآن الكريم

أ.م.د. محمد شاكر ناصر الربيعي د. احمد جاسم مسلم الجنابي
كلية التربية الأساسية/ جامعة بابل

The Rhetorical Devices in the Light of Consistency in the Holy Quran

Asst. Prof. Dr. Muhammad Shakir Nasir al-Rubayi
Dr. Ahmed Jasim Muslim al-Janabi
College of Basic Education / University of Babylon

Abstract

Terminologically, consistency is the cohesion achieved by semantic devices in the first place. It is represented by the deep level of the text which presents an illustration for the cohesive devices among the structures which are seemingly inconsistent on the surface level. It has an abstractive semantic nature shown by relationships reflected by the linguistic elements of the text. This type of cohesion is what is called consistency. It is opposite to symmetry which focuses on the connectives in the form of the text.

الملخص

الانسجام في الاصطلاح هو الترابط الذي يتحقّق من خلال وسائل دلاليّة في المقام الأول، ويتمثّل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تُقدّم إيضاحاً لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة، أو مفكّكة على السطح، فهو ذو طبيعة دلاليّة تجريديّة تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغويّة في النص، وهذا النوع من الربط هو ما يصح إطلاق مصطلح الانسجام عليه، وهذا يؤكّد أنّه يهتم بالروابط الدلالية المتحقّقة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكليّة المتجسّدة في ظاهر النص، ويعرفه الدكتور سعد مصلوح بأنّه: ((الاستمرارية الدلاليّة التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم)).

فكلّ نص يتضمّن علاقات معنويّة تربط أجزاءه بالبنية الدلاليّة الكبرى، وهي تسمح للنص بأن يفهم ويستعمل، فالروابط الدلالية لها أهميتها على مستوى تقبّل النصوص من قبل المتلقي وتأثيرها فيه، وهي تعطي للنص مظهره ووحدته، فوحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكلٍ كافٍ إلا بمراعاة قاعدته الدلاليّة، أمّا وسائل الربط التركيبيّة فهي تسهّل على السامع التعرف على بناء القاعدة الدلاليّة في النصوص وفهم ذلك البناء، وقد عبّر هاليداي ورقية حسن عن أهمية البعد الدلالي بقولهم أن أفضل ما ينظر إلى النص على أنّه وحدةٌ دلاليّةٌ، وحدةٌ ليس في الشكل بل في المعنى.

المبحث الأول

مفهوم الانسجام :

الانسجام النصّي أحد المعايير المهمة التي تحقّق الاستمرارية في عالم النص، وهو يمثّل مع معيار الاتساق– الذي يختصّ ببيان مظاهر الترابط السطحي– البنية الكليّة لنصٍ ما، فالانسجام وفق هذا يهتم ببيان الترابط المفهومي[١] في النص، أي إيضاح العلاقات الدلاليّة التي تربط معاني الأقوال.

والانسجام لغةً من سَجَمَتِ العينُ الدمع والسحابةُ الماء، تَسْجِمُهُ سَجْماً وسُجُوماً وسَجَمَاناً: وهو قطَرَان الدمع وسَيَلانه، قليلاً كان أو كثيراً... والعرب تقول: دَمْعٌ ساجمٌ، ودمعٌ مسجومٌ، سَجَمَتْهُ العينُ سَجْماً...وكذا عين سَجُوم

(١) يقصد بالترابط المفهومي: أن تحدد قواعد الدلالة شروط الصدق بالنسبة لكل جملة من اللغة المعنيّة، أو بعبارة أخرى نجد القواعد تحدد معنى الجمل أو مفهومها، وهو يقابل الترابط الرصفي الذي يشير إلى كلّ نشاط وكل إجراء غايته رصف عناصر اللغة في ترتيب نسقي مناسب، بحيث يمكن للكلام أو الكتابة أو السماع أو القراءة أن تتمّ في توالي زمني، وتستطيع من وجهة النظر إلى التفاصيل أن تدرك السياقات اللفظيّة المركّبة من العناصر الصغرى الصوتية أو الصرفية التي تتطابق مع ما اشتملت عليه الأنظمة من الوحدات الصوتية أو الصرفية. ينظر: النص والخطاب والإجراء، روبرت دي بوجراند: ١٣٦-١٧٥.

وسحاب سَجُوم، وانسَجَمَ الماء والدمع، فهو مُنْسَجِمٌ، إذا انسَجَمَ أي انصب، وسَجَّمَتِ السحابة مطرها تَسْجِيماً وتَسْجَاماً إذا صبَّته، ...وأسْجَمَتِ السحابة دامَ مَطَرُها(١).

وورد في القاموس المحيط: سجم الدمع سُجُوماً وسجَاماً، ككتاب، وسَجَمَتْه العين، والسحابة الماء تَسجِمه وتسجُمُه سَجماً وسُجُوماً وسَجمَاناً، قَطَرَ دمعها وسال قليلاً أو كثيراً(٢).

وفق هذه المعاني اللغوية لمادة (سجم)، يظهر أنّها تدور حول القَطَران والصّبّ والسيلان، وهي مفردات تتصل بالتتالي والتتابع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار، وإذا ما ربطنا هذه المعاني بالكلام نجد الانسجام هو أن يأتي الكلام متحدّراً كتحدّر الماء المنسجم(٣).

ومثل غيره من المصطلحات المترجمة عن الانكليزية، نجد أنّ هناك تبايناً واضحاً في ترجمة المصطلح أو في اختيار مقابلٍ له، فالباحثون سعد مصلوح ومحمد العبد وجميل عبد المجيد وتبعهم كثير اختاروا مصطلح (الحبك)(٤)، الوارد ذكره في التراث النقدي العربي، وكأنّهم أرادوا من ذلك أنّ يبيّنوا أنّ للانسجام جذوراً في هذا التراث، أمّا محمد خطابي فقد اختار مصطلح (الانسجام)(٥)، بينما ترجمه تمام حسّان (بالالتحام)(٦)، بينما اختار الدكتور سعيد بحيري مصطلح التماسك(٧)، ومصطلح (الانسجام) هو الأكثر دقّةً، لأنّه الأقرب من المراد من مفهومه في الانكليزية(Coherence).

والانسجام في الاصطلاح هو الترابط الذي يتحقّق من خلال وسائل دلاليّة في المقام الأول، ويتمثّل في بنية عميقة على المستوى العميق للنص تُقدّم إيضاحاً لطرائق الترابط بين تراكيب ربما تبدو غير متسقة، أو مفكّكة على السطح، فهو ذو طبيعة دلاليّة تجريديّة تظهر من خلال علاقات تعكسها العناصر اللغويّة في النص، وهذا النوع من الربط هو ما يصح إطلاق مصطلح الانسجام عليه(٨). وهذا يؤكّد أنّه يهتم بالروابط الدلالية المتحقّقة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكليّة المتجسّدة في ظاهر النص(٩)، ويعرفه الدكتور سعد مصلوح بأنّه: ((الاستمرارية الدلاليّة التي تتجلّى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم))(١٠).

فكلّ نص يتضمّن علاقات معنويّة تربط أجزاءه بالبنية الدلاليّة الكبرى، وهي تسمح للنص بأن يفهم ويستعمل، فالروابط الدلالية لها أهميتها على مستوى تقبّل النصوص من قبل المتلقي وتأثيرها فيه، وهي تعطي للنص مظهره ووحدته، ((فوحدة أي نص لا يمكن أن توجد بشكلٍ كافٍ إلا بمراعاة قاعدته الدلاليّة، أمّا وسائل الربط التركيبيّة فهي تسهّل على السامع التعرف على بناء القاعدة الدلاليّة في النصوص وفهم ذلك البناء، وقد عبّر هاليداي ورقية حسن عن أهمية البعد الدلالي بقولهم أن أفضل ما ينظر إلى النص على أنّه وحدةٌ دلاليّةٌ، وحدةٌ ليس في الشكل بل في المعنى))(١١).

ويفهم من هذا، أنّ الانسجام جزء أساسي عند تشكيل أي نص، فلا يمكن أن نطلق على قطعة مكتوبة نصّاً إذا لم تكن هذه القطعة تحمل دلالة مركزيّة، وكل حدث في القطعة منسجم ومرتبط بطريقة ما من أجل جعل هذه الدلالة

(١) ينظر: لسان العرب، مادة (سجم) :١٩٤٧/٢٢.
(٢) ينظر: القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر للتوزيع، بيروت- لبنان، ١٩٩٩م: ١٠٠٩-١٠١٠.
(٣) ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن: لأبن أبي الاصبع المصري (ت : ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: د. حنفي محمد شرف، مطابع شركة الاعلانات الشرقية القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م: ٤٢٩.
(٤) ينظر: النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد: ١٠٠، والبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤١. ونحو أجروميّة للنص الشعري، د. سعد مصلوح: ١٤٥.
(٥) ينظر: لسانيات النص، مدخل لانسجام الخطاب: ٥.
(٦) ينظر: النص والخطاب والإجراء: ١٠٣.
(٧) ينظر: علم لغة النص: د. سعيد حسن بحيري: ١٤١، واتجاهات لغويّة معاصرة، د. سعيد حسن بحيري: ١٧٣.
(٨) ينظر: علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري: ١٢٢-١٢٣.
(٩) ينظر: علم اللغة النصي، صبحي إبراهيم الفقي: ٩٤/١.
(١٠) نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح: ١٤٥.
(١١) مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي:٣٧-٣٨.

واضحة في السياق وفي ذهن المتلقي، فلا يمكن عدّ هذه القطعة نصّاً إذا فقدت الروابط الدلاليّة بين أجزائها، فالانسجام قضيّة منطقيّة لأجل أن يكون التواصل مفهوماً، فالإفهام هو الغاية من إنشاء النصوص، وهذا الأمر جعل الدكتور محمد خطابي أن يعدّ الاتساق مكوّناً من مكونات الانسجام، بمعنى أن تكون وسائل الاتساق متناسبة مع الدلالة(١).

وممّا سبق يتضح أنّ الانسجام يهتم بالكشف عن العلاقات المعنوية في نسيج النص، التي بسببها تناسقت دلالاته وتلاقت معانيه على الوجه الذي يقتضيه العقل، على وفق تعبير عبد القاهر الجرجاني(٢).

المبحث الثاني

المظهر المضموني للانسجام

لا يمكن أن يبدو نصّاً منسجماً إذا لم تكن بنيته متداخلة مترابطة، وتقوم علاقات مختلفة تربط بين المفاهيم في جميع مستوياتها، وهذه العلاقات دلاليّة تشدّ النص وتجعله منسجماً في مجمل حركته وانتقالاته. لكون الانسجام ((مفهوماً دلاليّاً يحيل إلى علاقات المدلول التي توجد داخل النص والتي تعرفه كنص، إنّ الانسجام يظهر عندما تؤول عنصراً في الخطاب بربطه بعنصر آخر الواحد يفترض الآخر))(٣).

يُفهم من هذا أنّ عناصر الخطاب المنسجم ترتبط بعضها ببعض بعلاقات دلاليّة تجعلها تتصف بالتتابع المنطقي للمعاني، فالانسجام يضمن للنص فاعليته في أن يكون كلاً موحّداً ومتصفاً بالانتظام، لأنّه يضمن ((التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام، وهذا يفترض قبولاً متبادلاً للمتصورات التي تحدّد صورة عالم النص المصمّم بوصفه بناءاً عقليّاً))(٤). فالعلاقات الدلاليّة بين جمل النص تؤدي إلى الانسجام إذا كانت متّصفة بالمنطقيّة والمقبوليّة من قبل المتلقي، لأنّ الانسجام ظاهرة تأويليّة ديناميكيّة من الفهم المعرفي، تتدخل فيه أنواع عديدة من المعارف الذاتيّة(٥)، وعليه فإنّ محلّل النص وهو يتناول الانسجام، فإنّه ((يستضيف النص ويعقد معه صلات حميمة ليتعاونا معاً على انجاز مهمّة الفهم والتأويل))(٦).

وبسبب تداخّل أنواع عدّة من المعارف – كآليات مساعدة – لأجل الوصول إلى تحديد الانسجام في نص ما، ومن هذه الآليات ما هو مرتبط بالمتلقي وقدرته المعرفيّة للوصول إلى تحديد انسجام النص، لذا لا يمكن القول بوجود نظريّة موحّدة تحدّد بصورة واضحة مفهوم الانسجام، وما موجود هو إسهامات عدّة لمجموعة من العلماء حاولوا أن يحدّدوا من خلال بحوثهم آليات الانسجام، وهي تبقى إسهامات لها دورها في إماطة اللثام عن الكثير من العلاقات الدلاليّة المؤثّرة في انسجام النصوص (٧).

وعلى الرغم من اشتراكهم في الاهتمامات الأساسيّة إلاّ إنّ كلاً منهم نحى منحىً مستقلاً عن غيره، وهذا لا يدلّ على افتراضية مفهوم الانسجام وآلياته، وإنّما يُعدّ مؤشراً على سعة مفهومه وتعدد آلياته، وهي متجددة بتجدد أساليب الصياغة اللغويّة، ومرهونة بقبول المتلقي أو رفضه، فـ ((المتلقي هو الذي يحكم على النص، أنّه منسجمٌ وعلى آخر أنّه غير منسجم، بتعبير آخر، يستمدّ الخطاب انسجامه من فهم وتأويل المتلقي ليس غير....وكلّ نص قابل للفهم والتأويل فهو نص منسجم))(٨)، وأيضاً يتوقف انسجام النص ((على علاقاته مع المحيط خارج لساني....فالانسجام يدخل السياق

(١) ينظر: لسانيات النص، مدخل لانسجام الخطاب: ٢٥٦.
(٢) ينظر: دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي، علّق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م : ٥١.
(٣) سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجى، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٨٧م: ٨٨.
(٤) النص، ضمن كتاب العلاماتيّة وعلم النص، جون ماري سشايفر : ٣٣.
(٥) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل: ٢٤٠.
(٦) دينامية النص، تنظير وإنجاز ، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت –لبنان، والدار البيضاء- المغرب، ط١٩٩٠،٢م : ٤٢.
(٧) ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن: ٢٠.
(٨) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٥١-٥٢.

بمعناه الواسع، أي المقام خارج لساني، إضافة إلى معارف العالم، أو بتعبير إيكو: الموسوعة الثقافيّة المرتبطة بالنص))[١].

يدلّ هذا على أنّ النص ليس تتابعاً للجمل، ولا يمكن أن يُنظر إليه من هذه الزاوية فقط، بل أنّ هناك عواملَ أخرى تدخل حين يتعلّق الأمر بالحكم عليه من ناحية الانسجام، وهذه العوامل كلّها تشترك من أجل الحصول على انسجام نص على مستوى بنيته الكليّة[٢].

وهذه العوامل هي في الأصل علاقات دلاليّة تنمو بين الجمل وعلى مستوى النص كلّه، ومتوافقة ومترابطة في العالم المطروح، وهذا ما أكّد عليه شارول بقوله: ((حتى يكون مقطع ما أو نص منسجماً، يجب أن تكون الوقائع التي يوردها في العالم المطروح مترابطة))[٣].

من أجل ذلك، حاول شارول في مقاله (القواعد الواصفة للانسجام meta- regles de coherence)، أن يؤسس لهذه القواعد من منطلق مفاده أنّ الكلام عن الانسجام يجب أن يضع في الحسبان خطيّة النص، أي: يجب أن يؤخذ في الحسبان التتابع الذي تظهر فيه العناصر المكوّنة للنص[٤].

وذكر شارول أربع قواعد واصفة للانسجام، هي[٥]:

١- **قاعدة التكرار:**

وتسمح هذه القاعدة حسبما يرى بتحقيق:

- طابع الاستمراريّة.
- التدرج المتجانس والمستمر.
- غياب القطيعة.

وتسمح هذه الإجراءات بربط جملة (أو مقطع) بأخرى توجد في محيطها القريب من خلال التذكير بأنّ مكوناً ما في جملة يوجد في مكوّن في الجملة المجاورة، والتذكير فيها يتعلّق بمحتويات دلاليّة غير ظاهرة يبيّنها المتلقي حتى يظهر الاستمرار.

لكن شارول يؤكد أنّ عوامل التكرار ليست كافية وحدها لضمان انسجام مقطع ما.

٢- **قاعدة التدرج:**

حتى يكون النص منسجماً في كلّ مستوياته يجب أن يصاحب تدرجه سند دلالي متجدّد باستمرار.

فليس من المعقول أن نتصوّر نصاً مؤسساً كليّةً على التكرار، بل هذا يُعدّ ضرباً من المحال، لذلك فإنّ قولاً ما لا يكتفي بالتكرار ليكون منسجماً، بل لابدّ من التدرّج.

ومن هذا المنظور، فإنّ شارول يؤكّد أنّ قاعدة التدرّج تتكامل مع قاعدة التكرار، وإن كانت إحداهما تتجه إلى الثبات، فإنّ الأخرى تتجه إلى الحركة والتجدّد، ولا بدّ وفق هذا أن يكون النص المنسجم متحقّقاً فيه التوازن بين استمراريّة موضوعاتيّة وتدرّج دلالي.

٣- **قاعدة عدم التناقض:**

يرى شارول أن المنطق يمنع – استناداً إلى مبدأ عدم التناقض – أن توجد القضية ونقيضها في الوقت نفسه، لكن هذا لا يمنع أن يكون هناك تناقض طبيعي موجّهاً توجيهاً بلاغيّاً في النص، وهذا التناقض يؤثر إيجاباً على الانسجام،

---

(١) سيمياء التأويل، الحريري بين العبارة والإشارة ، رشيد الإدريسي، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠م: ٦٢.
(٢) ينظر: الاتساق والانسجام في القرآن الكريم: مفتاح بن عروس، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، أطروحة دكتوراه، ٢٠٠٧م-٢٠٠٨م: ٣٥.
(٣) المصدر نفسه : ٤٨ ، عن . Introducion aux problemes de la coherencedes texts, 1978: 30
(٤) ينظر: المصدر نفسه : ١٢.
(٥) ينظر: المصدر نفسه: ٤١-٤٩.

بسبب أنّ الغاية من وجوده غاية فنيّة، فجوهر المعنى لا يتأثّر بهذا التناقض الفنّي، بل أنّ هذا التناقض من الممكن أن يكون سبباً في انسجام النصوص.

٤- قاعدة العلاقة:

وهذه أهمّ القواعد التي ذكرها شارول، بسبب كثرة القواعد الدلاليّة الرابطة وأهميتها، وفي هذه القاعدة يجب أن تكون الوقائع المطروحة في النص مترابطة، وليس المقصود منها الروابط الشكليّة التي تفيد الاتساق، وإنّما العلاقات الدلاليّة التي تجعل النص مترابطاً دلاليّاً، وأيضاً ما يصنع المتلقي من علاقات استنادا إلى العالم الذي ينظر منه.

هذه العلاقات الأربعة التي ذكرها شارول في مقاله، يعدّها أساسيّة في الحكم على انسجام النصوص، فالنص المنسجم تابع لمنتجه ومقصود منه متلقي ما، والمنتج والمتلقي بطبيعة الحال ينتميان للعالم نفسه والمعرفة نفسها وفق ما يقتضيه العقل والمنطق، وأي خلل في انسجام النص يشعر به منتجه والمتلقي، وهذا الحكم ناتج عن طبيعة العلاقات المتفق عليها المستندة إلى المعرفة اللغوية والخبرة بمعرفة العالم المحيط بهما.

لذا من المهم الحديث عن الروابط الدلاليّة، لأنّها مدخل مهم لفهم القاعدة الرابعة التي تحدّث عنها شارول، والتي تخصّ القواعد الدلاليّة.

الترابط الدلالي:

الترابط الدلالي له دورٌ هام في الانسجام النصي، وتعرّفه لاندكيست كما يلي: ((وجود سمات دلاليّة بين المركّبات الاسميّة في النص تسمح لنا بربطها فيما بينها، وتكوين سلاسل مشتركة))[١].

ويعتمد الترابط الدلالي على عمليات ذات أساس منطقي، وقد ذكرت لاندكيست علاقتين، هما:

١- الاحتواء: وهي علاقة بين وحدتين إحداهما هي اسم الجنس، والأخرى فرد الجنس، ومثلتها كالآتي:

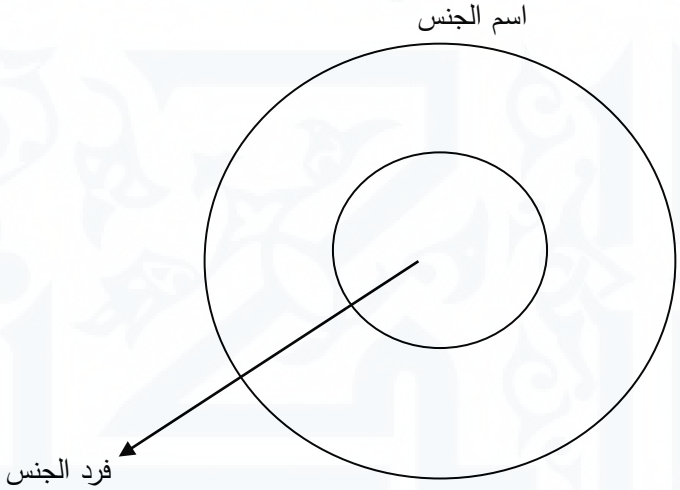

٢- التقاطع: ويكون بتقاطع مجموعة من الوحدات في بعض السمات الدلاليّة، أو حضور سمة جامعة، وهذا إمّا أن يعطي مترادفات أو متضادات.

إلاّ إنّ العلاقات الدلاليّة التي تؤدّي إلى الربط المفهومي – في أيّ لغة– كثيرة، وهي مهمّة أيضاً في التدرّج الموضوعي لكي يكون نصاً ما منسجماً، فالعلاقات الدلاليّة مثل: الاستقصاء(الإضافة)، والسبب والنتيجة والإجمال والتفصيل، والترادف، والتضاد، والتكرار، والارتقاء الدلالي، فهي علاقات متدرجة من كونها علاقات تجمع بين القضايا

[١] الاتساق والانسجام في القرآن الكريم : ١١٧, عن la-coherence texuelle. Ludauist.p:43

الصغرى فيما بينها، ويدعمها في ذلك بعض أدوات العطف الظاهرة (الواو، الفاء، ثم)، إلى علاقات أكثر شمولاً تجمع أطر محدّدة داخل النص الواحد، وهي عندئذٍ أكثر تعقيداً، لأنّها تعتمد على الاستنتاج القائم على فهم كليّة النص[١].

وقد اعتمد الدكتور جميل عبد المجيد في كتابه (البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصية) على كتاب أوجين نايدا (العلاقات الدلاليّة بين البنيات النوويّة)، ورأى أنّ نايدا ركّز على عرض العلاقات الدلاليّة فيما بين مفهومين أو بنيتين أو حدثين، ورأى أنّ هذه العلاقات خضعت للضبط والتجديد، فورد بعضها في كتاب، وبعضها الآخر في كتاب آخر من كتب اللسانيّات، وأنّ من جمعها وعرضها عرضاً جيداً هو نايدا، ورأى أيضاً أنّ هذه العلاقات قابلة للتطبيق على أجزاء كاملة من الخطاب[٢].

وأحصى نايدا تسعة عشر نمطاً من أنماط العلاقات الدلاليّة، وصنّفها إلى صنفين أساسين[٣].

أ- علاقات الربط.

ب- علاقات التبعيّة والاعتماد.

ثمّ قسّم كلّ صنف إلى قسمين، فعلاقات الربط تنقسم إلى: علاقات إضافيّة، وعلاقات ثنائيّة.

أمّا علاقات التبعيّة فتنقسم إلى: علاقات مؤهلة، وعلاقات منطقيّة.

وداخل هذا التصنيف تندرج تسع عشرة علاقة دلاليّة، هي كالآتي:

أولاً: الرابطة.

أ- الإضافيّة:

١- متكافئة.

٢- مختلفة: في بنيات متوازية أو معكوسة.

ب- ثنائيّة:

١- إبداليّة (أو).

٢- تقابليّة (لكن).

٣- مقارنة (أفضل من، ك، مثل).

ثانياً: التبعيّة:

أ- مؤهلة:

١- الجوهر

أ- المحتوى.

ب- الإجمال-التفصيل.

٢- الوصف:

أ- وصف الكل أو الجزء.

ب- الكيفيّة.

ت- المحيط أو الإطار:

١-الزمان.

٢-المكان.

٣-الظرف.

---

(١) ينظر : نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج: ١٣١.

(٢) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٤٢.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٢-١٤٤. عن
Linguistic and literary studies, Mohammad al-jazeyery , p:217-225.

ب- العلاقات المنطقيّة:

١- المسبب- الأثر. ٢- السبب- النتيجة.

٣- الوسيلة- النتيجة. ٤- الوسيلة الغرض.

٥- الشرط الجواب. ٦- الأساس- التحقق.

٧- المفترض- النتيجة[١].

الأشكال البديعيّة في القرآن الكريم وفق قواعد شارول:

ووفق القواعد الأربعة التي ذكرها شارول، يمكن بيان دور الأشكال البديعيّة في تحقيق انسجام نص ما، فأغلب الأشكال البديعيّة تتسم بظاهرة التكرار، فالنظر إلى العمق البنائي لأساليب البديع يلحظ أنّها ومن خلال سمتها التكراريّة تضفي على النصوص طابع الاستمراريّة، والتدرج المتجانس المستمر مع غياب القطيعة.

فعند النظر إلى الشكل البديعي (المشاكلة)، الذي يعتمد على المجاورة والمصاحبة مع التميّز الدلالي في العمق، تُدرك أهمية هذا الشكل في تحقيق الانسجام المضموني على مستوى النص، وأشار الدكتور محمد عبد المطلب إلى ذلك بقوله: ((إنّ الألفاظ المشاكلة تكتسب من المجاورة تمازجاً في الدلالة يخرجها عن النمط المألوف ويعدل بها عن دلالة المطابقة إلى الناحية الإبداعيّة، وهذا التمازج لا يتمثّل في التكرار المجسّم في العبارة بل إنّه يتحقّق ذهنيّاً من خلال تقدير المجاورة في الدلالة وما يستتبع ذلك من تمازجها))[٢].

ففي قوله تعالى:﴿ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴾[٣]، كانت المشاكلة بين (نفسي، نفسك)، والأصل ((تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما عندك، فإنّ الحقّ تعالى وتقدّس لا يستعمل في حقّه لفظ النفس، إلاّ إنّها استعملت هنا مشاكلة لما تقدّم من لفظ النفس))[٤]، ويلحظ كيف حقّقت المشاكلة بين اللفظين المذكورين من تمازج على المستويين اللفظي والدلالي، فلفظة (نفس) لا يمكن أن تصدق على الذات الإلهيّة لقوله تعالى:﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾[٥]، فالمراد منها معنىً آخر، وجيء بلفظ (نفسك) للمشاكلة التي حقّقت الانسجام لما فيها من مفارقة دلاليّة أبعدت الرتابة الأسلوبيّة على مستوى تلقّي النص، فإعادة اللفظ هنا حافظ على الترابط المفهومي ومنح النص صورة لغويّة جديدة، إذ إنّ أحد العنصرين المكرّرين أسهم في فهم الآخر، فضلاً عن أنّ هذا التكرار أضفى على النص طابع الاستمراريّة على المستوى الصوتي والدلالي، فلا يشعرك بالانقطاع في عملية التلقّي، وهذه الاستمراريّة مهمّة في تحقيق انسجام النص.

ولم يقتصر التكرار على الشكل البديعي المشاكلة، فهو سمة مميّزة لأغلب الأشكال البديعيّة، ويرى الدكتور محمد عبد المطلب أنّه المدخل الصحيح للتعامل مع علم البديع على وجه العموم، دون أن ينفي ذلك إمكانيّة البنى البديعيّة في تقديم إضافات دلاليّة إلى هذا التكرار أو توقف فاعليّته الإنتاجيّة، ودون أن ينفي ذلك خروج بعض البنى عن دائرة التكرار[٦].

فالعكس أو التبديل الذي عرّفه أبو هلال العسكري بقوله: ((أن تعكس الكلام فتجعل الجزء الأخير منه ما جعلته في الأول))[٧]، يعتمد على التكرار على المستوى الصياغي مشكّلاً نسقاً جماليّاً خاصّاً، لكنّه أيضاً ذو مقصد دلالي يحقّق الانسجام على مستوى عمق النص، ففي قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ ﴾[٨]. فالمقصود من الآية

---

(١) للإطلاع على حدود العلاقات الدلاليّة وعلاقتها بالأشكال البديعيّة، ينظر: البديع بين البلاغة العربيّة واللسانيّات النصية: ١٣٤-١٧٤.

(٢) البلاغة والأسلوبيّة، د. محمد عبد المطلب: ٢٢٥.

(٣) المائدة :الآية /١١٦.

(٤) علم البديع، رؤية جديدة، د. احمد احمد فشل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م: ١٧٣.

(٥) العنكبوت: الآية/٥٧.

(٦) ينظر : البلاغة العربية، قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب: ٣٥٣.

(٧) كتاب الصناعتين: ٣٧٥.

(٨) الروم: الآيه/ ١٩.

الكريمة بيان قدرة الله عزّ وجلّ، وتحقّق هذا المقصد من خلال (العكس) بين : الحيّ من الميت/ الميّت من الحيّ، ولو أُكتفي بإحدى الجملتين لما تحقّق المقصود من الآية الكريمة، إذن الغاية دلاليّة من الأسلوب، وميزة التكرار أسهمت في تجانسه الدلالي المستمر، فالمعنى ليس منقطعاً، وإنّما هو مدعوم بصياغة متجانسة، والعلاقة بين الأجزاء المكرّرة علاقة دلاليّة حقّقت انسجامه تحت سطح النص قبل ظاهره. إذ ((لا معنى لأن نتوقّف عند استخدام الألفاظ دون ربطها بالمعنى، ومحاولة قصر الجهد على تنسيقها دون اعتبار للخط الباطني وهو المعنى))[١].

إنّ الأشكال البديعيّة المرصودة في الأسلوب القرآني تعتمد على سمة التكرار، وهي تضمن انسجام النص القرآني وتلاحمه على مستوى العمق الدلالي، فإنتاج الدلالة المستمرة وظيفة أسلوبيّة مرتبطة بقدرة النص الذاتيّة على إنجاز الفعل التوافقي بين مختلف الصيغ الأسلوبيّة التي شاركت في إيجاده، وهنا تتفاعل الأشكال البديعيّة مع نسيج النص لتحقّق فعلها المؤثّر من خلال سمتها التكراريّة في إنتاج نص منسجم.

القاعدة الثانية التي تحدّث عنها شارول، هي قاعدة التدرّج، وعلى التدرّج الدلالي أن يكون متحركاً وموازياً للقيم الثابتة في النص، والتدرّج عادة ما يكون ((بموضوع متفجّر، وهو عبارة عن موضوع عام، ويكون عادة كلمة تحتل رتبة دلاليّة أعلى قياساً بالعناصر التي تشتقّ منها، أو مجموعة من الوحدات التي تحتلّ موقع المحمول في الجملة السابقة، ثمّ تصبح كل وحدة موضوعاً في الجملة اللاحقة))[٢].

والجمع مع التقسيم من الأشكال البديعيّة التي تحقّق الانسجام عبر قاعدة التدرّج، ففي قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ۞ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[٣]، فجمع الله عزّ وجلّ بين شقيّ وسعيد، ثمّ عبر التقسيم في قوله ((فأمّا الذين شقوا...))، وقوله ((وأمّا الذين سعدوا...))، تدرّج في وصف كل محمول دلالي فأصبح كلّ عنصر كأنّه موضوعٌ لما تلاه من التفصيل، وهذا التدرّج حقّق الانسجام المفهومي عبر مساحة النص.

والشكل البديعي صحة التقسيم يفيد الانسجام الدلالي أيضاً حسب قاعدة التدرّج، ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۞ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٤]، وصف الله عزّ وجلّ إعراض الناس عنه وعن رسوله صلّى الله عليه وآله، والأعراض هو الموضوع العام، ثمّ تبعه عزّ وجلّ بكلام فيه بيان سبب هذا الأعراض، ﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ﴾، وتلك هي جميع الأقسام التي جعلتهم يعرضون عن تقبّل حكم الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وهذا التدرّج في ذكر الأقسام وارتباطها بالموضوع العام (الإعراض)، حقّق التلاحم والتجانس الدلالي بين مختلف مستويات النص، فليس هناك قسم رابع ممكن أن يكون سبباً لهذا الإعراض.

وتتجلّى قاعدة التدرّج–بصورة واضحة– في الأشكال البديعيّة (الاستقصاء، والتتميم، والتكميل)، والفرق بين هذه الأشكال أنّ ((التتميم، يرد على معنى ناقص فيتمّم بعضه، والتكميل، يرد على التام فيكمل وصفه، والاستقصاء له مرتبة ثالثة، فإنّه يرد على الكامل فيستوعب على كلّ ما تقع عليه الخواطر من لوازمه))[٥]، فمثال الاستقصاء في قوله تعالى: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ

(١) بناء الأسلوب في شعر الحداثة ، التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب: ١٠٩.
(٢) الاتساق والانسجام في القرآن الكريم : ٨٢.
(٣) هود : الآيات/ ١٠٥-١٠٨.
(٤) النور: الآيات/ ٤٨-٥٠.
(٥) البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين: ١٠٤.

فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[١]، فالمعنى في الآية الكريمة استقصى من جميع جوانبه استقصاءاً كاملاً، وكان التدرّج واضحاً في عودة المعاني جميعها إلى معنى محمول واحد حقّق هذا الانفجار الدلالي إلى أقصى درجة ممكنة ((حتى لم يبقَ فيه بقيّة لأحد))[٢]، وهذا التدرّج في الاستقصاء كان رابطاً قويّاً من روابط المعنى أضفى سمة الانسجام على النص كلّه.

ومثال التكميل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[٣]، ورأى ابن أبي الإصبع المصري أنّ في الآية الكريمة من عجيب التكميل، فالكذب على قسمين: قسم مطلق وقسم مقيّد، فالمطلق قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾، والمقيّد على قسمين في هذه الآية الكريمة: قسم كذّب فيه الكاذب على الله سبحانه وتعالى، وقسم كذّب الكاذب فيه على نفسه، فالأول قوله تعالى: ﴿قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾، والثاني قوله: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، ولو وقع الاقتصار على قوله تعالى: ﴿قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ لكان المعنى المراد تاماً، لكنه علم سبحانه أنّه بعد التمام يحسن أن يكمل، فقال: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾، فتكمّل المعنى بذلك بعد التمام[٤].

وعملية التدرّج الدلالي في فن التكميل واضحة، فالسند الدلالي متجدد باستمرار وتجاوز حدود الجملة من افتراء الكذب على الله سبحانه وتعالى، ثمّ القول أنّ الله أوحى إليه، ثمّ القول أنّه سينزل مثل ما أنزل الله عليه، وهذا التدرّج الواضح عبر الشكل البديعي (التكميل) أسهم بشكل فاعل في انسجام النص.

ويُسهم التتميم أيضاً–كما ذُكر– في تحقيق الانسجام عبر قاعدة التدرج الدلالي، وحدّه ((أن تأتي في الكلام كلمة إذا طُرحت من الكلام نقص معناه في ذاته، أو في صفاته))[٥]، ومثاله قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[٦]، فقوله ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ تتميم، ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾، تتميم ثانٍ، وحقّق هذا التتميم بيان ما أُبهم من المعنى عبر التدرّج في بيان هذا المبهم، فلا يكفي أن يكون العمل صالحاً كي يكون مقبولاً عند الله، وإنّما يجب أن يكون صاحبه مؤمناً، ولا فرق في أن يكون العامل ذكراً أم أنثى. وهذا التتابع لأجل تتميم المعنى كان أداة رابطة حققّت التماسك الدلالي المطلوب بين أجزاء النص.

ويتجلّى التدرّج في الشكل البديعي (الاستدراج)، الذي هو ((استمالة المخاطَب بما يؤثره ويأنس إليه، أو ما يخوّفه ويرغبه، قبل أن يفاجئه المخاطِب بما يطلب منه))[٧].

وألطف مواضع الاستدراج في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۞ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ۞ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ۞ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ۞ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ۞ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾[٨]، فقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾، جاء على سبيل التلطّف والاستدراج، ثم أمّنهما سبحانه وتعالى وعلّمهما كيف يخاطبانه، فقولهما: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، نسبة إليه، ولم يقولا: ((إنّا رسولا ربّنا))، من التلطّف البديع، وقوله: ﴿وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ﴾، أيضاً في غاية التلطّف، فإنّهما طلبا منه بني إسرائيل، ولم يصرّحا له

---

(١) البقرة: الآية/ ٢٦٦.
(٢) البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٠٤.
(٣) الأنعام: الآية/ ٩٣.
(٤) ينظر: بديع القرآن : ١٤٥/٢.
(٥) بديع القرآن: ٤٥.
(٦) النحل: الآية/ ٩٧.
(٧) الأقصى القريب في علم البيان، محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ: ١٠٣-١٠٤.
(٨) طه: الآيات / ٤٣-٤٨.

بدعوته إلى الإيمان، وإخراجه عمّا هو عليه، ثمّ قالا: ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾، ولم يقولا له: اتبعْ- على سبيل الأمر- إبقاء لعظمته من نفسه(١).

وهذا التدرّج في التعامل مع فرعون باستعمال اللطف واللين، كان ميزة الخطاب القرآني على لساني موسى وهارون عليهما السلام، واستمرار هذا التدرّج إلى نهاية الخطاب، حتّى أصبح رابطاً دلاليّاً أسهم في انسجامه، وكشف أيضاً عن المشكلة النفسيّة الحادّة التي يمتاز بها الطغاة مقارنة بحسن الخلق والاستقرار النفسي الذي يمتاز به الأنبياء، ممّا استوجب هذا الاستدراج بغية إنقاذ بني إسرائيل من ظلمهم.

أمّا القاعدة الثالثة التي أشار إليها شارول، هي قاعدة (عدم التناقض)، إذ إنّ الكلام كي يكون منسجماً، عليه أن يتسم بعدم التناقض، وهذه القاعدة تتصل بالعلاقات الدلاليّة المنطقيّة، ودور الأشكال البديعيّة وفق هذه القاعدة أن تجعل التناقض الوارد في النص ممثّلاً لبنيته النصيّة ومسهماً في ترابط أجزائه ترابطاً دلاليّاً مقبولاً، فهي تتصل حسب هذه القاعدة بالتنظيم الداخلي للنص، فهناك حاجة مباشرة لكلّ متكلّم لأن يكون نصّه مفهوماً منسجماً، ومعلوماته منظّمة في الذهن، والأهم من ذلك ألاّ تكون الأحداث الدلاليّة متناقضة، فالنص كما ذكر الدكتور سعيد حسن بحيري يتألّف ((من عدد من العناصر تقيم فيما بينها شبكة من العلاقات الداخليّة التي تعمل على إيجاد نوع من الانسجام، والتماسك بين العناصر))(٢)، والأشكال البديعيّة في مجملها تمثّل جزءاً من شبكة العلاقات الدلاليّة المنظّمة للنصوص والمساعدة في انسجامها، وهذا يتبدّى بصورة واضحة في الأسلوب القرآني، ففي قوله تعالى: ﴿ وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾، فقد جاء ((الليل والنهار في صدر الكلام وهما ضدّان، ومجيء السكون والحركة في عجز الكلام وهما ضدّان، ومقابلة كلّ طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب))(٣).

ففنّا البديع: المقابلة واللف والنشر، سمحا لورود هذه الأضداد بعضها إلى بعض، بل إنّها زادت من حسن الأسلوب وانسجامه، فليس هناك تناقض يُوهم المتلقي بتفكك النص، على العكس من ذلك، فالتناقض بين الأضداد شدّ من التحام النص، وذكر ابن أبي الإصبع المصري في هذه الآية الكريمة أشكالاً بديعيّة أخرى، في بقوله: ((ألا تراه سبحانه جعل العلّة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان، حيث قال: (لتسكنوا) و (لتبتغوا) بلام التعليل، فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، وحسن النسق، وحسن البيان، لمجيء الكلام فيها متلاحماً آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض))(٤).

لقد تضمّنت هذه الآية الكريمة جملة من الأشكال البديعيّة أسهمت في حسن نسقها وزادت من ترابطها المفهومي، وكانت العلاقات البديعيّة منسجمة بعضها مع بعض، وأيضاً منسجمة مع المراد من الآية الكريمة، وكلّ من له ذوق وحظ من البلاغة العربيّة يدرك أسرار هذا التعبير، فليس هناك تناقض رغم قصر العبارة القرآنيّة وتعدّد الأشكال البديعيّة التي تخلّلت نسيجها.

أمّا القاعدة الرابعة، وهي قاعدة العلاقة، فإنّها من أهمّ هذه القواعد الأربعة التي أشار لها شارول، إذ إنّها تهتمّ ببيان العلاقات الدلاليّة الرابطة على مستوى النص كلّه، وقد ذكر الدكتور جميل عبد المجيد جملة من الأشكال البديعيّة التي تحقق الربط الدلالي على مستوى النص، وهي (التكرار المعنوي، والتفصيل بعد الإجمال، وتجاهل العارف، والمقابلة، والعكس والتبديل، والرجوع، والتفريق، والتفسير، والتقسيم، والجمع ثمّ التقسيم، واللف والنشر، والتقسيم ثمّ الجمع، والجمع مع التقسيم، والجمع مع التقسيم والتفريق، والمذهب الكلامي، والمزاوجة، والتعليل، وتشابه الأطراف، والإرصاد، والاستطراد، والتفريع، والإدماج، والاحتراس(٥).

(١) ينظر: البديع في ضوء أساليب القرآن: ١٢٤-١٢٥.
(٢) دراسات لغويّة تطبيقيّة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، (د. ط)، (د. ت) : ٧٨.
(٣) بديع القرآن : ٧٣.
(٤) المصدر نفسه : ٧٤.
(٥) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: ١٧٣.

فالتفصيل بعد الإجمال يأتي متجاوزاً حدود الآية الواحدة إلى أجزاء السورة، رابطاً عناصرها ربطاً معنويّاً ولا يقتصر الأمر عليه داخل السورة، بل يقع التفصيل لإجمال آية أو آيات في سور متقدمة [١]، وأشار السيوطي إلى أنّ قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٢]، هو تفصيل لقوله في سورة الحديد: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ ﴾[٣]، وواضح أنّ الربط هنا يمتدّ إلى ما فوق الجملة، وهو يتعدّى حدود الآية وأحياناً حدود السورة[٤]. يظهر أنّ التفصيل بعد الإجمال له دور بارز في ربط أجزاء النص، وهو سمة أسلوبيّة يمتاز بها القرآن الكريم أسهمت بشكل كبير في انسجامه. أمّا الشكل البديعي الاستطراد، فهو الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لمناسبة ثمّ الرجوع إلى المعنى الأول[٥]. فقوله تعالى:﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾[٦]، واردٌ على سبيل الاستطراد عقب ذكر السوءات وخصف الورق عليها، إظهاراً للمنّة فيما خلق الله من اللباس، ولمّا في العُري وكشف العورة من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأنّ التستر باب عظيم من أبواب التقوى[٧]. فأفاد الاستطراد في الآية الكريمة عودة المعنى الثاني على الأول لما فيه من قرينة الستر بين اللباس المادي واللباس المعنوي وهو التقوى، فأصبح الاستطراد علاقة دلاليّة ربطت بين جزيء النص ممّا أدّى إلى انسجامه.

وسيتم الحديث عن باقي الأشكال البديعيّة التي تشكّل علاقات دلاليّة على مستوى النص في المبحث الرابع من هذا الفصل في الدراسة التطبيقية على سورة (فصلت).

المبحث الثالث

السياق النصّي

إنّ أبعاد النص المختلفة تكوّن نسيجاً متشابكاً ومتماسكاً إلى أبعد حد، وما يمكن أن يعدّ إضافة جوهريّة إلى هذه الأبعاد هو ذلك التطلّع إلى فهم أدقٍ وإشراك فعلي لعمليات تقع خارج اللغة الواقعيّة، عمليّات استلزمتها غايات تفسيريّة لا محدودة تتأبّى على أن تنغلق في حدود الأطر الظاهريّة والنظرات السطحيّة، وترنو إلى استمرار التفاعل بين النص ومتلقّيه، في حركة تحافظ على ديناميّة النص من جهة، وعلى تعدد القراءة التي تتيحه نصوص خلاّقة ومناهج لا تقل عنها في إمكانات الخلق والاستنطاق والتفسير[٨]. وفي هذا إشارة إلى دور السياق الحاسم في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقّة ووضوح، ويمكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في استعمال اللغة، وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوتّرة، لذا فهو يقوم بدور فعّال في تواصليّة الخطاب وانسجامه[٩].

لذا يعدّ السياق آلية من آليات الانسجام، فمن خلاله يمكن الوصول إلى دلالة النصوص، فالمفردات والتراكيب يكون لها معنى إذا انتظمت في سياق معيّن، ويتغيّر المعنى تبعاً لتعدد السياقات، ولا يمكن أن يُنتَج نصّاً بمعزل عن سياقٍ يفترض وجوده.

---

(١) ينظر: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم: ١٣٨.
(٢) المجادلة: الآية/ ٧.
(٣) الحديد: الآية/ ٤.
(٤) ينظر: تناسق الدرر ، السيوطي: ١٢٣، وينظر: الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن: ١١٢.
(٥) ينظر: علم البديع، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتّاح: ٢٦٢.
(٦) الأعراف: الآية/ ٢٦.
(٧) ينظر: الكشاف : ٢/ ٩٣.
(٨) ينظر: علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري: ١٣.
(٩) ينظر: السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي: فطومة لحمادي، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر، العدد/ ٢-٣، ٢٠٠٨م: ٢٤.

فالسياق مرتبط ارتباطاً وثيقاً بعمليّة إنتاج النصوص، فضلاً عن أنّه أداة معرفيّة من خلالها يستطيع أن يصل محلّل النصوص إلى المعنى المقصود، بسبب أنّه ((إطار عام تنتظم فيه عناصر النص ووحداته اللغويّة ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط، وبيئة لغويّة وتداوليّة، ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يقدّمها النص للقارئ))[١]، وعليه فالسياق مؤثّر في إنتاج النص وفهمه، وكثير من النصوص لو عزلتها عن سياقها لفقدت صفة النصية، فتحليل النص وفهمه متزامن مع السياق وفهمه.

وقد رأى (هاليداي) أنّ النص والسياق يشكّلان وجهين لعملة واحدة، وأكّد أنّ السياق هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، والنص الآخر لا يشترط أن يكون قوليّاً، إذ هو يمثّل البيئة الخارجيّة للبيئة اللغويّة بأسرها، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثّل اللغوي ببيئته الخارجيّة، ونظراً لأنّ السياق يسبق في الواقع العملي النص الظاهر أو الخطاب المتصل به، فقد رأى (هاليداي) أن يعالج موضوع السياق قبل أن يعالج موضوع النص[٢].

وقد جعل (هاليداي) السياق من جملة التوقّعات التي تفسّر ما سيقوله لنا الآخرون، وهو يسهم في جعل عملية الاتصال ممكنة وسهلة، لذا فمهمّة اللغوي تتركّز في معرفة الوسائل التي تمكّن المشاركين في الخطاب اللغوي من تأسيس تلك التوقّعات، وفي مقدمة تلك الوسائل يأتي السياق[٣].

وقُسِّم السياق إلى أربعة أقسام، هي[٤]:

١. السياق اللغوي:

فهو كلّ ما يتعلّق بالإطار الداخلي للغة (بنية النص)، وما يحتويه من قرائن تساعد على كشف دلالة الوحدة اللغويّة الوظيفيّة وهي تسبح في نطاق التركيب، وهذا الأمر يتطلّب العودة إلى نظم اللغة (الصوتيّة، والصرفيّة، والتركيبيّة، والمعجميّة، والدلاليّة)[٥]. ويكون تحديد دلالة اللفظة نسبة إلى استعمالها في سياق معيّن، وهذا السياق هو الذي يُحدّد معناها ويدفع عنها الدلالات الأخرى المحتملة، أي أنّ ((المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغويّة، أي وضعها في سياقات مختلفة...فمعظم الوحدات الدلاليّة تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها))[٦]. وفي هذا الوضع يكون استعمال اللفظة منسجماً مع الألفاظ الأخرى المستعملة في نفس السياق دلالةً وصوتاً وصرفاً وتركيباً، لتكون جزءاً من سياق النص، إذن لا بدّ أن تدرس اللفظة في سياقها اللغوي الذي وردت فيه، وأثرها في هذا السياق من جهة المساهمة في انسجامه وملائمتها للألفاظ الأخرى الواردة فيه.

٢- سياق الموقف:

اهتمّ (هاليداي) بسياق الموقف، ورأى أنّ له تأثير بالغ في معالم النص، وقسّمه إلى ثلاثة مظاهر أساسيّة:

أ- المجال: ويعني به (هاليداي) الموضوع الأساسي الذي يتخاطب فيه المشاركون في الخطاب والذي تُشكّل اللغة أساساً مهمّاً في التعبير عنه.

ب- نوع الخطاب: وهو نوع النص المستخدم لإكمال عملية الاتصال، ويُركّز هاليداي هنا على طريقة بناء النص والبلاغة المستخدمة فيه، وما إذا كان مكتوباً أو منطوقاً، وما إذا كان نصّاً سرديّاً أم أمريّاً أم جدليّاً ونحو ذلك.

ج- المشتركون في الخطاب: ويعني هاليداي بهذا المفهوم طبيعة العلاقة القائمة بين المشاركين في الخطاب ونوع العلاقة القائمة فيما بينهم، وهل هي رسميّة أم غير رسميّة، عارضة أم غير عارضة ونحو ذلك[٧].

---

(١) أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بو درع، مجلة الإحياء المغربيّة، عدد/ ٢٥، جمادي الثانية ١٤٢٨هـ- يوليو ٢٠٠٧م: ٧٣.
(٢) ينظر: علم النص ونظريّة الترجمة، البروفسور يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرّمة، ط١، ١٤١٠هـ: ٢٩.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٠.
(٤) ينظر: علم الدلالة، أحمد مختار عمر: ٦٩.
(٥) ينظر: علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م: ٥٤٢.
(٦) علم الدلالة، د. احمد مختار عمر: ٦٨.
(٧) ينظر: علم النص ونظرية الترجمة : ٣٢-٣٣.

يظهر من خلال إيجاز ما ذهب إليه هاليداي أنّ النص هو مجرّد وحدة لغويّة تخدم غرضاً وظيفيّاً، ويستند إلى ثلاثة عناصر رئيسة، العنصر الأول هو العنصر الفكروي، الذي يستند إلى الخبرة المراد التعبير عنها وبها، ويستند هذا العنصر على المكوّن المنطقي للغة، والعنصر الثاني هو نوع الخطاب الذي سيتمّ استخدامه ومدى تأثيره بالعناصر الإنسانيّة المشاركة فيه، والعنصر الثالث هو النص نفسه من حيث هو وجود لغوي يخضع لضوابط النظام العلامي للغة(١).

ويظهر من تقسيم هاليداي لسياق الموقف، أهمّية هذا السياق في انسجام النص، فالمجال ونوع الخطاب والمشتركون فيه جميعهم يمثّلون العمليّة التواصليّة ببعدها الدلالي المتسم بالاستمراريّة، فلو جهل أصحاب العمليّة التواصليّة السياق الذي أنتج فيه النص لصعب عليهم فهمه، لغياب ركن مهمّ من أركان انسجامه، بسبب أنّ السياق ((يتعلّق بقضايا التأويل والإشارة والأيديولوجيا والعالم الخارجي، ممّا يقتضي ضرورة حصره في الإطار المعرفي الملامس للنص بشكل مباشر))(٢).

٣- السياق العاطفي:

إنّ اللغة هي قناة التوصيل بين المتكلمين بها، وهي تُعبّر بشكل واسع عن أفكارهم وعواطفهم ورغباتهم، لذا فاللغة في سياقها تخضع لمراد المتكلّم، فالتأثير العاطفي للفظة في سياق معيّن يختلف عنه في سياق آخر وردت فيه اللفظة نفسها، إذن فالسياق هو الذي يحدّد درجة التأثير العاطفي للألفاظ في سياق معيّن دون غيره في سياق آخر، وبهذا يكون ((السياق العاطفي هو المحدّد لدرجة القوّة أو الضعف في الانفعال ممّا يقتضي تأكيد أو مبالغة أو اعتدال))(٣)، ويعتمد الشحن العاطفي للألفاظ على قصديّة المتكلّم ومدى استجابة المتلقي، وإنّ استعمال لفظة في سياق معيّن مقصود، هو الذي يكشف عن درجة التوقّع العاطفي ودرجة تأثيره في المتلقي.

٤- السياق الثقافي:

اللغة وظيفيّة وفقاً للملاحظة المتعمّقة لأفرادها ولإنشائهم المتواصل للخبرة التشاركيّة في المجتمع الفعلي، وهذه الرؤيّة الوظيفيّة للغة تقدّم مفهوماً للسياق الثقافي أكثر رحابة واتساعاً، فعند الحديث عن السياق الثقافي للنص فإنّنا نعني سمات الثقافة المتّصلة بوقت الكتابة، والمسيطرة على كاتبي النصوص، من أعرافٍ أدبيّة ولغويّة(٤).

وفق هذا، يعدّ النص ظاهرة ثقافيّة، إذ من خلاله يمكن أن نستخرج بعض الخلاصات التي تهمّ البنية الاجتماعيّة الثقافيّة، كما يمكن أن نستخلص منها المحادثات المستعملة في مقامات خاصة ودور أعضاء المجتمع وحقوقهم وواجباتهم...إلخ(٥).

وعليه، فإنّ فهم نصّ ما يحتاج إلى معرفة بالعالم الذي أُنتِج فيه هذا النص، أي معرفة بالمرجعيّات الثقافيّة لمنشئ النص، فاستعمال الألفاظ في السياق يتضمّن الثقافة، فكلّ خطاب هو مضمر ثقافي وعاكس للبيئة الثقافيّة التي أُنتِج فيها، فيكون مؤثّراً في متلقّيه بسبب المشتركات الثقافيّة، ويزداد التفاعل الضمني بين المتكلّم والمتلقي كلّما ازداد تطابق المشتركات الثقافيّة بينهم.

وهذا يفسّر استعمال ألفاظ معيّنة في مجتمع في خطاب معيّن، واستبدالها بألفاظ أخرى في مجتمع آخر، لتباين المشتركات الثقافيّة بين المجتمعات، وهذا أيضاً يفسّر استعمال الأشكال البديعيّة في الخطاب القرآني في كثير من سياقاته، بسبب العامل الثقافي المهيمن بالنسبة لمتلقي النص القرآني.

دور الأشكال البديعيّة في تحقيق الانسجام في السياق القرآني

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٣٤.
(٢) بلاغة الخطاب وعلم النص: ٢٢٥.
(٣) علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر: ٧٠.
(٤) ينظر: نظرية علم النص، د. حسام احمد فرج: ٣٠.
(٥) ينظر: النص بنياته ووظائفه، مدخل أولي إلى علم النص، من نظريّة الأدب في القرن العشرين، ترجمة: د. محمد العمري، أفريقيا الشرق- الدار البيضاء، ١٩٩٧م: ٧٦-٧٧.

لا شكّ أنّ للأشكال البديعيّة دوراً واضحاً في الأسلوب القرآني، فنادراً ما نجد آيةً خلت منها، لذا تُعدّ من الأدوات التعبيريّة المهمّة التي اعتمدها القرآن الكريم، وهي في السياق القرآني تؤدّي دورها الوظيفي والجمالي على أكمل صورة، فاستعمال شكل بديعي في آية مرتبط بحاجة السياق لهذا الشكل البديعي، بحيث يؤدّي غرضه منسجماً مع سمات التعبير الأخرى ومحقّقاً معها التجانس الأمثل.

وبما أنّ الانسجام ((يعني البحث في العلاقات الخفيّة التي تؤلّف النص وتنتظمه وتولّده))[١]، فبناؤه داخل النص يعتمد على العلاقات بين أجزائه المختلفة، ففهم العلاقة بين المفردات والتراكيب والسياق مهمّة لإدراك انسجامه، فالنص يكون غير قابل للفهم إذا كانت هناك قطيعة بين البنيات التي تؤلّفه، وعلى هذا فالأشكال البديعيّة بوصفها سمة تعبيريّة وبنية خاصة من بنيات النص، يؤدّي الكشف عنها وفهمها وفق سياق معيّن إلى فهم النص وإدراك علاقاته المختلفة.

وأهميّة الأشكال البديعيّة تكمن في أنّها أنماطٌ خاصّة تمتاز بالغرابة والجدة والإثارة والدهشة، حيث تتواشج التراكيب والصور على نحو فريد تعتمد على خلق علاقات تتمثّل في نسيج من العلامات المتوافقة والمتضادة والمختلفة، التي تؤدّي من ثمّ إلى نشوء شبكة من القرائن السياقيّة التي يتمّ من خلالها توظيف المعنى المراد[٢].

ويمتاز الأسلوب القرآني بصفة خاصّة باعتماده على مختلف الأشكال البديعيّة، ولم يكن استعمالها اعتباطاً أو مراد منه تحسين الشكل الصياغي، إنّما يتعدّى ذلك إلى حاجة السياق ليكون مؤثّراً على مستوى الترابط المفهومي المؤثّر في المتلقي، وهذا يفسّر كثافة استعمال الأشكال البديعيّة في السياق القرآني، فـ ((كلّما أُتيح لنا– بدقّة– رصد السياقات التي تحيط بعمليّة الإبداع، استطعنا تفهّم الكثير من العلاقات التركيبيّة بين أجزاء الكلام))[٣]، فالأشكال البديعيّة تستمدّ قيمتها الأسلوبيّة والنصيّة من سياق النص أو الموقف الذي ترد فيه، وهذه القيمة قابلة للتغيّر تبعاً لتغيّر السياق أو الموقف.

ويمكن بيان ذلك من خلال قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۞ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۞ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۞ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۞ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۞ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۞ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۞ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۞ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۞ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[٤]، ففي الآيات الكريمة جملة من الأشكال البديعيّة استدعاها السياق من أجل إيصال المعنى المراد إلى المتلقي، فضلاً عن مساهمتها في تحقيق الترابط المفهومي بين بنيات النص المختلفة.

فالتفريع والجمع مع التقسيم والمقابلة والمشاكلة، هذه الأشكال البديعيّة اشتركت في صياغة نسيج الآيات الكريمة السابقة، وحقّقت التلاحم الشديد بين أجزاء النص، وجاء كلّ ذلك متفاعلاً مع السياق، فغرض السورة كان ((لبيان البون بين حال المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة))[٥]، لذا كانت المقابلة لبيان الفرق بين حال الفريقين، وكانت أبرز سمة أسلوبيّة في هذا النص، وقد رسمت حدّاً فاصلاً بين الفريقين لتمايزهم بالسلوك والاعتقاد، فحضرت المقابلة في ستة مواضع، هي: (الليل/النهار، الذكر/ الأنثى، أعطى/بخل، اتّقى/ استغنى، صدّق/ كذّب، لليسرى/ للعسرى).

وأيضاً كان للجمع مع التقسيم دور في بيان هذا التمايز، فالجمع في قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، والتقسيم في قوله: ((فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ .... وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ .....)).

والمشاكلة كانت بين ((فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ)) و((فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ))، وهذه المشاكلة ((بُنيت على استعارة تهكّميّة))[٦]، فاستعمل سبحانه وتعالى في هذا الخطاب القرآني (اليسر) مكان العسر تهكّماً بالذين كذّبوا بالحسنى، فجاءت هذه اللفظة في السياق اللغوي لتجانس ما قبلها وتشاكله، وحقّقت أيضاً التأثير العاطفي الشديد في نفوس المكذّبين، وأدّت وظيفتها على مستوى النص في التمييز بين الفريقين.

---

(١) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ١٢.
(٢) ينظر: حدّ اللغة بين المعنى والاستعمال، عبد السلام المسدي، مجلة الأقلام، بغداد، العدد/ ٥، ١٩٨٥م: ٧.
(٣) البلاغة والأسلوبية: ٢٤٢.
(٤) الليل: الآيات / ١-١١.
(٥) التحرير والتنوير: ٣٧٨/٣٠.
(٦) المصدر نفسه: ٣٠/ ٣٨٤.

فالأشكال البديعيّة في هذا القسم من سورة الليل حقّقت التفاعل المطلوب على كلّ مستويات النص، فكان تداخلها المنسجم سمة بارزة ومؤثّرة في المتلقي، وهي بعدُ كانت ضمن ما يحتاج له السياق ومتفاعلة مع ما يريد أن يؤدّيه من وظائف مختلفة.

المبحث الرابع

دور الأشكال البديعيّة في انسجام النص القرآني

سورة فصّلت أنموذجاً

ستكون دراسة الانسجام في سورة فصّلت استناداً إلى ما توفّره الأشكال البديعيّة من معطيات تسهم في جعل نص هذه السورة الكريمة متلاحماً مترابطاً على المستوى الدلالي، فالبنية الدلاليّة الكبرى للسورة يدور فيه الكلام حول إعراض الكفار ((عن الكتاب المنزّل وهو القرآن الكريم، فهو الغرض الأصلي، ولذلك ترى طائف الكلام يطوف حوله ويبتدئ به ثمّ يعود إليه مفصّلاً))[١]، ومن خلال بيان دور الأشكال البديعيّة في الربط بين أجزاء الدلالة في هذه السورة الكريمة، وكيف أنّها ستشارك باقي السمات الأسلوبيّة لبيان هدف السورة أو غرضها الرئيس، وسيتبيّن ثراء السورة، وجمال ترابطها، فالغرض الأساسي هو القرآن الكريم وموقف المعرضين منه، لذلك بسطت السورة الحديث عن الأصول الثلاثة التي تتكوّن منها العقيدة، وضمّنته التبشير والإنذار، ثمّ يظهر بذكر هذا الغرض تلاحم المقدمة مع الخاتمة، حيث أشارت السورة الكريمة إلى موضوعها في المقدّمة، واختتمت بالحديث عنه[٢].

وكلّ ما في السورة هو شرح لهذه الحقائق، واستدلال عليها، وعرض لآيات الله عزّ وجلّ في الأنفس والآفاق، وتحذير من التكذيب بها، وتذكير بمصارع المكذّبين في الأجيال السابقة، وعرض لمشاهد المكذّبين يوم القيامة، وبيان أنّ المكذّبين من الجن والأنس هم وحدهم الذين لا يسلّمون بهذه الحقائق، ولا يستسلمون لله، بينما السماء والأرض والشمس والقمر والملائكة، كلّهم يسجدون لله ويخضعون لأمره[٣].

ويمكن تقسيم السورة الكريمة إلى أربعة أقسام بحسب تغيّر الموضوعات الجزئيّة وفق ما ينسجم مع البنية الدلاليّة الكلية، وهذه البنى الدلاليّة الجزئيّة منتظمة فيها، وهي في حدود المجال الدلالي للبنية النصيّة الكبرى، وهي:

القسم الأول: هذا القسم يستغرق الآيات من (١-٢٩)، وهي في وصف القرآن الكريم، وفي وصف المعرضين عنه وموقفهم، مع الردّ عليهم وإنذارهم.

القسم الثاني: هذا القسم يشمل الآيات من (٣٠-٣٩)، وهو مغاير للقسم الأول، إذ الحديث فيه يكون عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وجزائهم، وهو في مقابلة القسم الأول وتذكير بأنّ الذين أسلموا وآمنوا هم في أمان من عذاب الله.

القسم الثالث: ويشمل الآيات من (٤٠-٤٦)، وفي هذا القسم عودة للحديث عن القرآن الكريم وتنزيه له، وأيضا وصف للمعرضين عنه وأنّهم في ضلال دائم وعمى، ثم ختم هذا القسم بتسلية الرسول صلّى الله عليه وآله بذكر موسى عليه السلام، إذ قومه اختلفوا بالتوراة أيضاً وأعرضوا عنه.

القسم الرابع: وهو الأخير، يبدأ من (٤٧-٥٤)، وهو خاتمة السورة، والحديث فيه يدور عن يوم القيامة وموقف المشركين في هذا اليوم العصيب، إذ هناك تتكشّف الحقائق ويتبيّن لهم مدى ضلالهم وما هم فيه، وأيضاً يكشف هذا القسم عن سبب إعراض المشركين، إذ هم في شكّ من لقاء الله رغم أنّ آياته عزّ وجلّ واضحة ومتجلّية في أنفسهم والآفاق.

وهذه البنى الدلاليّة الجزئيّة تنتظم في النص الكريم لتدعيم البنية النصيّة الكبرى، وهناك نظام علائقي خاص يؤدي إلى انتظام هذه البنية، وللأشكال البديعيّة أثر كبير في جعل صفة الاستمراريّة واقعاً في النص القرآني، فـ ((الانتظام في

---

(١) الميزان : ٣٥٨/١٧.

(٢) ينظر: سورة فصلت، دراسة بيانية، محمد صالح محمد حابش العلياني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة/ كلية اللغة العربية، ١٤٢٢هـ: ١١٣.

(٣) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م: ٣٤٧.

البنية مهمّ، ويتعلّق بشكل مباشر بالانسجام، فانتظام النص يساعد على انسجام النص، والانسجام يشي حتماً بانتظام النص، ولا ننسى أنّ الانسجام والانتظام لا يكونان إلا بالارتباط بالوحدة المفصليّة، وهذه الوحدة لا تناقش إلا بالتزامن مع وحدات أخرى من وحدات المفهوم، أي السطح والعمق والتشابك، تعاريف تؤكّد بشكل قاطع قيام النص على الترابط والانتظام والانسجام داخل النسيج الواحد))[١]، ومن خلال بيان مدى فاعليّة الأشكال البديعيّة في سورة فصّلت، سيتمّ الكشف أيضاً عن دورها المؤثّر في انسجام نص السورة، بوصفها بنى بلاغيّة منظّمة للمعلومة النصيّة في الذاكرة على حدّ قول فان دايك[٢].

وقد وصف الدكتور محمد محمد أبو موسى آيات سورة فصّلت بأنّها ممسك بعضها ببعض إمساكاً هو أقوى ممّا نسميه المناسبة، التي كانت تمثّل وتصف الفهم القريب للآيات، ويرى أن كلمة ممسك بعضها ببعض أضعف في وصف ما بين الآيات من ترابط، لأنّ الذي نراه هو أنّ كل آية خارجة من الآية التي قبلها وكأنّها من تمام معناها[٣]. وسيكون التأكيد في هذا الجزء من الدراسة على بيان دور الأشكال البديعيّة في تحقيق الترابط المفهومي بين آيات هذه السورة الكريمة وكأنّها نسيج واحد.

سورة فصّلت

السورة مكية لشهادة مضامين آياتها على ذلك وهي من السور النازلة في أوائل البعثة على ما يستفاد من الروايات، وتسمى أيضاً (حم السجدة) وهي أربع وخمسون آية(٤).

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ ﴾

تبدأ السورة الكريمة بقوله تعالى: ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ۝٣ ﴾، وهو من براعة الاستهلال، إذ كلّما كان الابتداء حسناً بديعاً، ومليحاً رشيقاً، كان داعية للاستماع لما يجيء بعده من الكلام[٥]، فضلاً عن أنّ له وظيفة أخرى، هي التلميح بأيسر القول عمّا يحتويه النص، وهذا يعني ارتباط الاستهلال ببنية النص برابط عضوي[٦].

وفي هذه الآيات إشارة مباشرة إلى الغرض الرئيس الذي يهدف إليه نص السورة، وبيّنت أنّ تنزيل الكتاب من الله الرحمن الرحيم، حيث أنّ محور السورة الكريمة يدور حول هذا المعنى.

ويستمدّ (التنزيل) هنا صفته من صفات المنزِّل، فكونه من الرحمن الرحيم، يدلّ على أنّه نعمة عظيمة، لأنّ الفعل المقرون بالصفة لا بدّ وأن يكون مناسباً لتلك الصفة، وكون المنزِّل يتصف بالرحمة فالتنزيل المضاف إلى الصفتين لا بدّ وأن يكون دالاً على أعظم وجوه النعمة[٧]. ومن نعم صفة (الرحمن الرحيم) التي استهلّت به هذه السورة ((أنّ هذه الأمة من إكرام الله لها ولنبيّها أنّها لا يقع عليها عذاب الاستئصال، وإنّهم وإن أعرضوا وأنذروا بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فإنّ ذلك لم يقع بهم، لأنّ دخولهم إلى الدين لم ينقطع من يوم أن نزل فيهم الكتاب حتى جاء الوقت الذي دخلوا فيه في دين الله أفواجاً، وكلّ هذا ممّا تجري فيه أسرار (الرحمن الرحيم) الذي كان أول ما يقرع الإذن بعد حم))[٨]. فضلاً عن

(١) بنية النص الكبرى، د. صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر، العدد/٢، ديسمبر، مصر، ١٩٩٤م: ٤٥٠.
(٢) ينظر: النص: بنى ووظائف، مدخل أولي إلى علم النص، فان . دايك، ضمن كتاب العلاماتية وعلم النص: ١٧٨.
(٣) ينظر: ال حم، غافر- فصلت، دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٩م : ٣١٤.
(٤) ينظر: الميزان:١٧/ ٣٥٧-٣٥٨، والبرهان في علوم القرآن: ١٤٤.
(٥) ينظر: كتاب الصناعتين: ٤٣٧.
(٦) ينظر: الاستهلال (فن البدايات في النص الأدبي)، ياسين النصير، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٣م : ٢٢-٢٦.
(٧) ينظر: تفسير الرازي : ٩٤/٢٧.
(٨) ال حم ، غافر-فصّلت، دراسة في أسرار البيان: ٣١٤.

أنّه نزل بلغتهم وهم يعلمون دقائقها وأسرارها، لذلك فهم أعلم من غيرهم به، فإن أعجزهم فهو دليل على أنّه من عند الله فلا وجه لإعراضهم بعد ذلك، وجاءت جملة (قرآناً عربياً لقوم يعلمون) متمّمة لمعنى التزيل والكتاب المفصّل وربطت بين الآيات في مطلع السورة الكريمة. وشكّل التناسب الصوتي والإيقاعي بين صفتي (الرحمن الرحيم) وبين الحروف المقطّعة (حم) تمهيداً لجوّ السورة بشكل عام بتماثل الروي بينهما، (حاميم...الرحيم)، لتظهر جانباً من العلاقة الموسيقيّة بين حروف الافتتاح وبين فواصل الآيات التي تليها[١]. فالشكل البديعي براعة الاستهلال كان مهمّاً على مستوى النص، فقد جاء متوافقاً صوتيّاً ودلاليّاً مع باقي أجزاء السورة وكان أول ملامح انسجام النص.

وشكّلت الأشكال البديعيّة الأخرى في هذا القسم علاقات مهمّة أسهمت في انسجام النص القرآني، سواء أحقّقت ذلك عن طريق قاعدة التكرار أم عن طريق قاعدة التدرّج أم أنّها ربطت النص بعلاقات دلاليّة بارزة كانت السبب في جعل العمق الدلالي مترابطاً منسجماً، ففي قوله تعالى:﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ فالطباق بين (بشيراً ونذيراً) أوجز حال الفريقين في الدنيا والآخرة، وقد جاء الطباق بين الصفتين على سبيل الوصل بينهما (بالواو) للتنبيه على اختلاف موقع كلّ من الحالين، فهو بشير لقوم ونذير لآخرين، وليس هو جامعاً بين البشارة والنذارة لطائفة واحدة[٢]. فكان العطف بين لفظتي الطباق حسناً، لأنّ صفتي الطباق كانتا مصداقاً لفريقين مختلفين. وأتى هذا الطباق بعد استكمال الوصف بأنّ القرآن نزل بلسان عربي (قرآناً عربياً)، وفي ذلك نعمة عليهم وامتنان حيث سهولة قراءته وفهمه لنزوله بلسانهم[٣]. فالكتاب هو نفسه القرآن، ووصف بأنّه عربيّاً لأنّه نزل بلغتهم وهم يعلمون بأسرار هذه اللغة وبلاغتها، لذلك لا تخفى عليهم المعاني التي نزل بها القرآن، فأفاد الطباق هنا البشارة للذين آمنوا به والإنذار الشديد والتوبيخ للذين كفروا به، وسنرى أنّ مستوى هذا الطباق سيكون رابطاً مهمّاً لكلّ أجزاء السورة، وأنّه سيحقّق مستوى من الترابط المفهومي بين الآيات السابقة واللاحقة.

وكان التفصيل بعد الإجمال في قوله تعالى: ﴿ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ ذا أبعاد نصيّة مهمّة، فقد أبرز علاقات دلاليّة تُمكّن ((من إدراك كيفيّة من الكيفيّات التي يُبنى بها النص وينسجم))[٤]، فالإجمال كان في قوله تعالى: (فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون)، ثمّ جاء التفصيل في الآية المذكورة لبيان صور الإعراض. وأفاد هذا التفصيل بعد الإجمال التدرّج في ذكر المعاني المرتبطة بإعراض المشركين عن قبول دعوة الرسول صلّى الله عليه وآله، أولاً: (في قلوبنا أكنّة ممّا تدعوننا إليه)، أي مهما كان الذي تدعوننا إليه سيكون مواجهاً بالرفض وعدم القبول، لأنّه بعيد عن هوى قلوبهم, ثانياً: (وفي آذاننا وقرٌ)، ((والعبارة فيها الإفراط في المبالغة ...وذلك لأنّ الأذن توصف صمّاء ولا توصف بأنّها فيها صممٌ إلا على وجه المبالغة، وهذا يلاءم كلمة (في أكنّة) ووراء ذلك من حدّة الرفض وتأكيده ما وراءه))[٥]، ثالثاً: (ومن بيننا وبينك حجاب)، وفي هذا القول غضب وفيه بغضاء، لأنّ المسألة لم تتوقف عند سدّ كلّ الطرقات أمام دعوته المدلول عليه بالجملتين السابقتين، وإنّما انتقل الكلام هنا إلى سدّ منافذ الرؤية، وكأنّ عيونهم لا تطيق أن تراه وآذانهم لا تطيق أن تسمعه[٦].

أمّا في قوله تعالى: (فاعمل إنّنا عاملون)، يظهر أنّ التكرار فيه قائم على جملة من الأشكال البديعيّة، ففيه جناس الاشتقاق والإرصاد ورد العجز على الصدر، وجاء الكلام على هذه الصيغة للتهديد، فإذا كان لا سبيل إلى التفاهم بيننا

---

(١) ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي ، دار عمار-عمان، ط٢، ١٩٨٦م : ٢٠٣

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣٢/٢٤.

(٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي، دار الفكر، (د.ت): ٢٤/ ٩٥.

(٤) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب: ٢٧٠.

(٥) ال حم، غافر فصلت، دراسة في أسرار البيان: ٣٢٥.

(٦) ينظر: المصدر نفسه : ٣٢٥.

فاعمل بما يمكنك العمل به في إبطال أمرنا، إنّنا عاملون في إبطال أمرك[١]. وفيه تفريع أيضاً على تأييسهم الرسول صلّى الله عليه وآله من قبولهم دعوته، وجعل قولهم هذا مقابل وصف القرآن بأنّه بشير ونذير، من باب أنّهم لا يعبئون بنذارته، فإن كان له أذى فليؤذهم[٢]. ويظهر تداخل الأشكال البديعيّة في هذه الجملة القرآنيّة وأثرها على مستوى الربط الدلالي في هذا الجزء من السورة.

وكان لتكرار الضمير (نا) في الآية الكريمة نفسها أن حقّق انسجاماً على المستوى الصوتي والدلالي، ويظهر ذلك في الكلمات (قلوبنا، وتدعوننا، وآذاننا، وبيننا، وإنّنا)، والتكرار عبر هذه المقاطع المفتوحة ما هو إلاّ متابعة للمعنى الذي هو تعبير عن موقف المشركين من القرآن وما يدعو إليه، والمقاطع المفتوحة هنا طويلة تستغرق وقتاً أطول ممّا تستغرقه المقاطع المقفلة، وهذا ما يتناسب مع المعاني المعبّرة هنا عن الموقف، فالصوت الناتج عن التكرار مرتبط بالمعنى أشدّ الارتباط، وأحدثا معاً هذا التآلف والانسجام[٣].

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾ .

في الآيات الكريمة تتعالق العلاقات الدلاليّة الرابطة مع ما سبقها، وكان الردّ على إعراضهم عن القرآن الكريم مبتدأً بفعل الأمر (قل) مقابلاً لقولهم السابق، وأوضح الاحتراس في (يُوحى إليّ) أنّ النبيّ محمد صلّى الله عليه وآله كان بشراً مثلهم، وإنّ إعراضهم في الحقيقة كان عن قبول دعوة الله وآياته، وما محمد صلّى الله عليه وآله إلاّ وسيط مكلّف من الله عزّ وجلّ، امّا الشكل البديعي (التفسير) فبيّن سبب إشراكهم، أولاً: (الذين لا يؤتون الزكاة)، وهو إشارة لعدم إيمانهم بما جاء في القرآن الكريم من أوامر إلهيّة تعبديّة، وثانياً: (وهم بالآخرة هم كافرون)، وهو إشارة إلى عدم إيمانهم بما جاء في القرآن الكريم من أمور عقائديّة، فكان إعراضهم عن القرآن الكريم إعراض عن كلّ ما جاء فيه، ثمّ انتهى الحديث عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبيان الأجر الموعودين فيه، وجاء هذا الحديث منسجماً تماماً مع مطلع السورة، إشارة إلى قوله تعالى: (بشيراً ونذيراً)، فكان هذا المقطع تفريعاً على ما سبق، فقد ((جسّد مفهوم البشارة والإنذار من خلال تلويحه بالجزاء الذي ينتظر كلاًّ من المنحرفين والمؤمنين))[٤]، يظهر ممّا سبق دور الأشكال البديعيّة (الاحتراس، والتفسير، والتفريع) في إقامة علاقات الربط الدلاليّة في هذا الجزء من السورة الكريمة، وقد كشفت عن سياق الرفض والإعراض وأسبابه بالنسبة للذين لم يؤمنوا بما جاء في القرآن ومرجعياتهم الفكريّة الباطلة.

أمّا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ ﴾ فقد أدمج في هذا الاستدلال بيان ابتداء خلق هذه العوالم[٥]، وجاء هذا الإدماج بعد الاستفهام التعجبي ليوافق ما ذكر في أول السورة من إعراض المشركين، فكان مسهماً على مستوى الربط المفهومي مع باقي دلالات الآيات الكريمة، وفي الآية نفسها هناك تخصيص (وتجعلون له أندادا) بعد تعميم (لتكفرون)، إذ عمّم الكفر أولاً ثمّ خصّص بنوع الشرك، فكان السبب الأول لكفر المشركين وإعراضهم هو أن جعلوا لله شركاء، فالتخصيص بعد التعميم في الآية الكريمة شكّلا علاقتين دلاليتين مهمتين على مستوى النص، أدتا إلى ربط هذه الآية الكريمة بالهدف الأساس الذي من أجله نزلت السورة الكريمة.

---

[١] ينظر: الميزان : ٣٦١/١٧.
[٢] ينظر : التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٣٦.
[٣] ينظر: سورة فصلت، دراسة بيانيّة : ٢٢٩.
[٤] التفسير البنائي للقرآن الكريم : ١٨٦/٤.
[٥] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٢/٢٤.

﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾.

يلحظ أنّ ظاهرة التكرار في هذا القسم من السورة الكريمة فضلاً عن قيمته الأسلوبيّة والإيقاعيّة قد أنتج علاقات دلاليّة مهمّة بين البنيات الدلاليّة للآيات الكريمة، سواء كان التكرار يقوم على أشكال البديع أو أنّه تكرار محض، وهو بذلك كان ظاهرة نصيّة بارزة ومؤثرة في انسجام النص القرآني، عن طريق ((تعزيز فكرة النص...وتثبيت المعاني في نفس المتلقي))[١]. وله وظائف عدّة أبرزها أنّه يقيم علاقات صوتيّة شكليّة على مستوى سطح النص، ودلاليّة فيما يخصّ البنية العميقة له، التي تحقّق بدورها استمراريّة النص وانسجامه، فتكرار شبه الجملة (فيها) في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٖ ﴾ فضلاً عمّا أحدثته من إيقاع منسجم مع جوّ السورة الكريمة، كانت تشدّ المتلقي للتدبّر والتفكّر في حقيقة الخلق الأول، فالتدرّج الدلالي بين الأفعال الماضية الثلاثة كان متلاحماً بتكرار الفاصلة الثابتة (فيها)، وكأنّ زمن هذه الأفعال زمن واحد متتابع، ولو جرّبت أن تقرأ الآية الكريمة بدون تكرار الفاصلة (فيها) لما استطعت أن تكمل، لأنّ النص سيبدو مفكّكاً، فضلاً عن أنّ هذا التكرار أفاد بيان قدرة الله عزّ وجلّ على الخلق وإنّه هو من جعل الأرض صالحة للحياة بمباركته وبتقدير الأرزاق لأهلها، ففيه من التأكيد على أنّ كلّ خلق وكلّ سبب للحياة يعود له سبحانه وتعالى، وهذا المعنى مرتبطٌ بالردّ على اللذين أعرضوا عن قبول ما جاء في القرآن الكريم كما هو مبيّن في أول السورة.

من خلال التعرّض لبعض نماذج التكرار في هذا القسم، يتضح دوره المؤثر في الانسجام، فهو يشغل مساحة النص كلّها، ويقيم علاقات رابطة على المستوى الصياغي ممّا يؤدي إلى اتساقه، ويقيم أيضاً علاقات رابطة على المستوى الدلالي (تحت النص) تؤدّي إلى انسجامه.

وأُريد من الطباق في الآيات الكريمة بيان قدرة الله عزّ وجلّ في قوله تعالى: (طوعاً أو كرهاً)، والخطاب كان موجّهاً للأرض والسماء بطبقاتها السبع، وجُمِع (طائعين)، لأنّ لفظ السماء يشتمل على سبع سموات، فالامتثال صادرٌ عن جمع،وأُوثر جمع العقلاء ترشيحاً للاستعارة المكنيّة، ولأنّه أراد: أئتيا بمن فيكم من الخلائق طائعين[٢]، وجاء الطباق متجانساً مع الهيكل الفكري للمقطع، ومتجانساً أيضاً مع الهيكل الفكري للسورة بكاملها، إذ إنّه يشير إلى عملية الإيمان بالله وعدمه، حيث أنّ المتلقي يستخلص من ذلك أنّ السماء والأرض حينما أخبرهما الله عزّ وجلّ بين أن يستويا طائعين أو مكرهين، قد اختارا أن يستويا طائعين، وهو أمر لا بدّ أن يحمل المتلقي على الاتعاظ بهذا الموقف فيختار الإيمان بالله طوعاً[٣]، وفيه توبيخ وتعنيف للذين أعرضوا عن الإيمان بالقرآن، وتجهيل لهم بسبب هذا الإعراض.

وفي هذا المقطع يظهر قوة الحجاج وتماسكه في الخطاب القرآني، وقد ذكر ابن أبي الإصبع قوله تعالى: (ذلك ربّ العالمين) ضمن المذهب الكلامي[٤]، وساق الحجاج الحقيقةَ لهم في هذا المقطع نابضةً حيّةً، فالله سبحانه وتعالى صاحب القدرة التامّة الذي خلق الأرض في يومين وخلق الجبال الرواسي وبارك للحياة فيها وقدّر الأقوات في أربعة أيام، وهو الذي أمر الأرض والسماء بأن تأتيا طائعين مع ما فيهما، وهو الذي خلق السموات السبع وكلّ سماء لها شأن وأمر يختلف عن أختها، وميّز السماء الدنيا بالنجوم لتكون زينةً وحفظاً (ذلك ربّ العالمين)، فلا حجة للإعراض عن قبول دعوة رسوله صلّى الله عليه وآله الذي يدعوكم للإيمان والتوحيد، فكان الاحتجاج بتمام قدرته سبحانه وتعالى لينبئهم بأنّهم لا يملكون من أمرهم شيئاً، وإنّما الأمر كلّه لله، فليس هناك وجهٌ للإعراض عنه، واختتمت هذه الآيات بالتذييل الذي جاء

---

(١) معاني التكرار النفسيّة لفنون البديع في القرآن الكريم: ٤١.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤٨/٢٤.
(٣) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ١٨٨/٤.
(٤) ينظر: بديع القرآن: ٢٥٦.

متتماً لما قبله ومتجانساً مع معنى الحجاج، فقوله: (ذلك تقدير العزيز العليم)، يخبر أنّ الله عزّ وجلّ هو الذي قدّر الحياة وأسبابها، وهو قادرٌ على سلبها، فهو العزيز العليم، فعلمه محيطٌ بكلّ شيء، وما كان من الخلق هو تحت سلطان علمه الواسع. وقال الرازي: ((واعلم أنّه تعالى لمّا ذكر هذه التفاصيل، قال: (ذلك تقدير العزيز العليم) والعزيز إشارة إلى كمال القدرة، والعليم إشارة إلى كمال العلم وما أحسن هذه الخاتمة لأنّ تلك الأعمال لا تمكّن إلا بقدرة كاملة وعلم محيط))[١].

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ .

هذه الآيات استمرار للآيات السابقة في بيان إعراض المشركين عن الإيمان والقرآن، لكن يظهر فيها تحوّل الخطاب إلى الإنذار والتهديد، فجاء الكلام متماسكاً منسجماً مع ما سبق، وأثر الأشكال البديعيّة واضح في تحقيق هذا الانسجام، فقوله تعالى(فإن أعرضوا) مرتبط فيما جاء في الآية (٤) قوله: (فأعرض أكثرهم)، وقوله تعالى: فقل أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود)، مرتبط أيضاً بما جاء في الآية (٤) قوله (ونذيراً)، فكان هذا المقطع تفصيل لما أجمل في مطلع السورة، وهذا التلاحم العضوي بين مقدمة السورة وبين وسطها تكفّل بتنمية المواقف والأحداث التي تضمّنتها المقدّمة[٢]، وهو من أسرار التكرار الفنيّة والتفصيل بعد الإجمال، الذين حقّقا طابع الاستمرارية الدلالية مع نمو النص واتساعه.

لذا تحول الخطاب إلى خطاب إنذار وتهديد تفريعاً على ما سبق بسبب استمرارهم على الكفر، وجاء هذا الكفر بعد سوق الأدلّة المبيّنة في آيات خلق الأرض والسماء وما يلحق بهما، يضاف إلى هذا التكرار، تكرار آخر لفعل الأمر (قل) في قوله: (فقل أنذرتكم صاعقةً)، فقد سبق ذكره في قوله: (قل إنّما أنا بشر يُوحى إليّ إنّما إلهكم إلهٌ واحد)، وقوله: (قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين)، وفي هذا التكرار ((تدرّج دقيق في المعنى، لأنّ في الأولى إبلاغ بنبوّته التي الهدف منها الإقرار بالوحدانيّة، والثانية قيام الأدلّة على هذه الوحدانيّة، والثالثة إنذار من يرفض الأدلّة بعد بيانها، ولذلك تجد هذه الكلمة (قل) وقعت بحساب دقيق في مواقع تحكمها حركة منتظمة للمعنى ومتدرجة تدرُّجاً منطقيّاً متّقناً))[٣]، وهذا التدرّج في المعنى مع التكرار أضفى صفة الانسجام بين أجزاء هذا النص القرآني، وهذا الإنذار كان مقيّداً بلفظ (صاعقة) النكرة لإفادة التعميم، ثمّ تكرّرت وجاءت مخصّصة بالإضافة على سبيل التتميم والتوضيح، وإضافتها إلى عاد وثمود كان على سبيل التقسيم، بمعنى أن تكون الصاعقة أمّا كصاعقة عاد أو كصاعقة ثمود. ويظهر في هذه الآية الكريمة تداخل الأشكال البديعيّة التي حقّقت الترابط والنمو على المستوى الدلالي.

والطباق في قوله تعالى: (من بين أيديهم ومن خلفهم)، فيه تمثيل لحرص رسول كلٍّ منهم على هداهم بحيث لا يترك وسيلة يتوسّل بها إلى إبلاغهم الدين إلاّ توسّل بها[٤]. لكنّهم مع كلّ هذه الحجج أعرضوا عن قبول دعوة الرسل وعبادة الله، وجاء قوله تعالى: في هذه الآية الكريمة استطراداً وبياناً لمسببات وقوع العذاب على قوم عاد وثمود.

---

(١) التفسير الكبير، الرازي: ١٠٩/٢٤.
(٢) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ١٨٩.
(٣) ال حم، غافر- فصّلت، دراسة في أسرا البيان: ٣٥٤.
(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٥٣.

أمّا الآيات (١٥، ١٦، ١٧)، فجاءت مفصّلة لما أجمل في قوله: (مثل صاعقة عاد وثمود)، إذ يعدّ الإجمال والتفصيل من أهم العلاقات التي وفّرت للنص القرآني المحكم خاصيّة الانسجام، فتفصيل المجمل هو الملمح الرئيس من ملامح الانسجام التي تصيّر كلّ سورة معه وحدة من وحدات الخطاب القرآني المترابطة[١]. وفي الآيات الإيضاح بعد إبهام، حيث يذكر المتعدد ثمّ تفصّل أحواله، أو يذكر الشيء وتستوفى أقسامه[٢]، فاشترك الإجمال والتفصيل إلى جانب أشكال بديعيّة أخرى في نسج هذه الآيات، فالترابط يبدو بشكل واضح على مستوى الآية الواحدة وعلى مستوى هذا الجزء من السورة، وهذا يثبت أنّ الأشكال البديعيّة شكّلت علاقات دلاليّة مهمّة أدّت إلى هذا الانسجام.

والأشكال البديعيّة الأخرى التي رصدت في هذه الآيات:

– الاحتراس، في قوله تعالى: (فأمّا عادٌ فاستكبروا في الأرض بغير الحق)، فقوله (بغير الحق)، أُريد به الاحتراس حتى لا يفسّر معنى الاستكبار بمعنى آخر. وهناك احتراس أيضاً في قوله: (ولعذاب الآخرة أخزى)، حتّى لا يُتوهّم أنّ العذاب يكون في الحياة الدنيا فقط.

– الطباق في قوله تعالى: (لنذيقنَّهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولَعذاب الآخرة أخزى)، فالطباق بين (الدنيا، والآخرة)، والطباق أيضاً بين (العمى، والهدى)، في قوله: (فاستحبّوا العمى على الهدى).

– وفي الآية جناس بين (الخزي، وأخزى).

واختتمت هذه الآيات بقوله تعالى: (ونجيّنا الذين آمنوا وكانوا يتّقون)، وفيها احتراس وتكميل، فالاحتراس خوفاً من الظنّ أنّ العذاب شمل قوم عاد وثمود عامّتهم، بل أنّ المؤمنين كانوا في منجى من هذا العذاب، وتكميل لما ورد من التفصيل، فليس منطقيّاً أن يكون العذاب عامّاً، فجاء هذا القول مكمّلاً من أجل معرفة الناجين من العذاب وسبب نجاتهم، وهو إيمانهم وتقواهم. وواضح إسهام الأشكال البديعيّة في تماسك وتلاحم الآيات السابقة، إذ إنّها ضمنت الاستمراريّة المتحقّقة في عالم النص.

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

هذه الآيات جاءت تكميلاً لما سبقها، فالآيات السابقة جاءت على ذكر عاقبة قوم عاد وثمود واستئصالهم في الدنيا، ومن المنطق أن يكون عذابهم في الآخرة أشدّ، وجاءت هذه الآيات شارحة لما سوف يلاقوه في هذا اليوم العظيم، ولن يكون لهم سبيلاً للإنكار، لشهادة سمعهم وأبصارهم وجلودهم عليهم، فكان الشكل البديعي (التكميل) أهمّ رابطة دلاليّة بين هذين المقطعين، فضلاً عن روابط بديعيّة أخرى تخلّلت نسيج هذه الآيات.

من ذلك التخصيص بعد التعميم في قوله تعالى: (وقالوا لجلودهم لمَ شهدتم علينا)، إذ سبقه قوله: (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم)، وتخصيص الجلود هنا بالذكر، لأنّها محيطة بالإنسان، وهي متّصلة بالفعل لا بمقدّمات الفعل كالسمع والإبصار، إذا أريد بالجلود كناية عمّا يستقبح ذكره ((لو كان المراد بالجلود الفروج))[٣]، وهذا الحوار بين الكافرين وبين جلودهم التي شهدت عليهم – بذكر الخاص بعد العام– كان منسجماً مع البنية الدلاليّة للسورة الكريمة، ففيه من التهويل والتخويف للذين أعرضوا عن القرآن وبيان مآلهم وخسرانهم.

---

(١) ينظر: النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد: ١٦١.
(٢) ينظر: سورة فصلت، دراسة بيانية: ٤٠٦.
(٣) الميزان: ١٧/ ٣٧٩.

وحقّق الجناس بين (أنطقنا، وأنطق) مستوى من الدلالة ليدعم الاحتجاج في هذا الحوار مع التتميم في آخر الآية، بقوله: (وهو خلقكم أوّل مرّة وإليه ترجعون)، أي إنّ الذي خلقنا أوّل مرّة وسيكون رجوعنا في الآخرة إليه، هو قادرٌ على إنطاقنا للشهادة على أعمالكم في ذلك اليوم، وهذه من أروع الاحتجاجات وأبلغها في القرآن الكريم، وتمثّلت هنا بالشكل البديعي: المذهب الكلامي.

وكان تكرار السمع والأبصار والجلود لبيان أنّه ما كان بإمكانكم أن تستتروا من الله، وهو من سوء ظنّكم به، وجاء قوله تعالى: (ظنّكم الذي ظننتم بربّكم) صياغة ثانية لقوله: (ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيراً ممّا تعملون)، وجاء هذا التكرار المعنوي لبيان خطر أن يقول أحد على الله ما لا يعلم أو أن يعتقد أو يظنّ أحدٌ بالله ظنّاً يخرج عن كمالات صفاته سبحانه وأسمائه[١].

من المهم بيان أنّ الأشكال البديعيّة كانت فاعلة على مستوى تدرّج المعنى، وإنّها تشكّلت بوصفها علاقات دلاليّة مهمّة، وتكافأت مع البنية الدلاليّة للنص، فتحوّل الخطاب في قوله تعالى: (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)، من ضمير المخاطَب إلى الغائب، أي: من الحديث معهم إلى الحديث عنهم، فكان له فعله المؤثر في إبراز مصير المعرضين، وكان لردّ العجز على الصدر في (وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين)، أن أخبر بأنّهم بسبب إعراضهم المذكور في أوّل السورة قد خرجوا من مجال القبول في الآخرة، وفي هذه الآية من التهديد والوعيد ما لا يخفى.

والإعراض كان العلّة ليقرنهم الله بقرناء زيّنوا لهم كلّ ما حولهم، وهذا المعنى مستفاد من المطابقة في قوله: (ما بين أيديهم وخلفهم)، لذا حقّ عليهم العذاب كما حقّ على أمم سبقتهم من الجنّ والأنس، لأنّهم ساروا على سنّتهم في الإعراض والكفر، والطباق بين الجنّ والأنس أفاد معنى شمول العذاب لكلّ من يخرج عن دعوى المرسلين إلى الله وكلّ كافرٍ بهم، فحقّقت الأشكال البديعيّة الاتصال المطلوب مع أجزاء السورة الأخرى بأن جعلتها متصفة بالاستمراريّة الدلاليّة.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابٗا شَدِيدٗا وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَسۡوَأَ ٱلَّذِي كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِۖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩ ﴾

هذا المقطع ينتظمه بناء هندسي قائم على التقابل بين موقفين للكفّار، الموقف الدنيوي الذي صدروا عنه وهم يواجهون رسالة الإسلام، حيث كان موقفهم منه على هذا النحو (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغَوا فيه لعلّكم تغلبون)، ثمّ الموقف الأخروي حيث (قال الذين كفروا ربّنا أرنا الذين أضلّانا من الجنّ والأنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين)، فواصل النص القرآني بين مقدّمة السورة وبين وسطها بالنسبة للفكرة التي حامت السورة عليها، وهي عدم استماع الأكثريّة لرسالة الإسلام[٢].

فقوله تعالى: (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه)، رجوع إلى حديث كفرهم بالقرآن والإعراض الموصوف به في أوّل السورة، وذكر كيدهم لإبطال حجّتهم[٣]. وتكرار (الذين كفروا) في صدر الآية (٢٧) جاء لبيان عاقبتهم وسوء حالهم، وفي الآية (٢٨) حقّق التكرار المعنوي بين (أعداء الله) و (الذين كفروا) التدرّج في الاستطراد بذكر الجزاء ليكون أشدّ تأثيراً في نفوس المعرضين. وتكرار (الجزاء) كان للتعليل، لبيان أنّهم يستحقّون هذا الجزاء لجحدهم آيات الله.

---

(١) ينظر: ال حم، غافر- فصّلت : دراسة في أسرار البيان: ٣٨٨.
(٢) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ١٩١-١٩٢.
(٣) ينظر: الميزان: ١٧/ ٣٨٨.

ورغم الفاصل الزمني الشاسع في الواقع بين الآية (٢٩) والآيات السابقة لها، إلاّ إنّها جاءت متلاحمة منسجمة معها، فجزاء الله واقعٌ لا محالة، وتخاطب الكافرين بعد رؤية العذاب واقع لا محالة أيضاً، فجملة (أرنا الذين أضلاّنا من الجنّ والأنس) مرتبطة بالآية (وقيّضنا لهم قرناء فزيّنوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحقّ عليهم القول في أممٍ قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين)، فعلى الرغم من تباعد زمن المشهدين، أحدهما من زمن الدنيا والآخر من زمن الآخرة، إلاّ إنّه جاء على سبيل التكميل لبيان خسارتهم في الدنيا والآخرة، وكان الالتفات من ضمير الغائب في الآيتين (٢٧، ٢٨) إلى ضمير المتكلّم في الآية (٢٩) لبيان هذه الحقيقة، أي: حقيقة تبرّي الكفار من قرنائهم الذين أضلّوهم.

يظهر أنّ الكلام في هذا القسم من السورة الكريمة الذي شمل الآيات من (١-٢٩)، جاء مترابطاً منسجماً في وصف المعرضين عن قبول ما جاء في القرآن الكريم، وكان للأشكال البديعيّة الدور الأهم في هذا الترابط المفهومي بين أجزاء النص المختلفة.

القسم الثاني من السورة الكريمة الذي يستغرق الآيات من (٣٠-٣٩)، يظهر فيه سياق الحديث مغايراً لما سبق، إلاّ إنّه جاء على سبيل المقابلة بين الذين آمنوا والذين كفروا، فلمّا كان الحديث مختصاً بالذين أعرضوا في القسم الأول وبيان ما هم فيه من الضلال فضلاً عن ذكر جزائهم، ووصف هذا الجزاء بأنّه مخزٍ لهم بعد أن تخلّوا عن قرنائهم الذين وجدوا أنّهم لا ينفعونهم بشيء أمام الله، وكلّ هذا الحديث كان متعلّقاً بقوله تعالى في أوّل السورة (بشيراً ونذيراً)، فجاء الحديث في القسم الأول على سبيل إنذار الكافرين.

وفي هذا القسم رجوع أيضاً لأوّل السورة وبيان البشارة للمؤمنين في قوله تعالى: (بشيراً ونذيراً)، فجاء قوله: (وأبشروا بالجنّة)، ليكون هذا التكرار رابطاً مهمّاً بين أوّل السورة وبين هذه الآيات من هذا القسم.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾

يلاحظ الربط الشديد بين هذه الآيات والآيات السابقة على وجه المقابلة بين الفريقين، إنّ الله لا يقيّض للذين آمنوا ((قرناء سوء من الإنس والجنّ، إنّما يكلّف بهم ملائكة يفيضون على قلوبهم الأمن والطمأنينة، ويبشرونهم بالجنّة، ويتولّونهم في الحياة الدنيا والآخرة))[١]، فكما قيّض للكفار قرناء في الدنيا قيّض للمؤمنين ملائكة يكونون قرناءهم في الدنيا، وكما أنطق أتباعهم باللائمة عليهم، أنطق الملائكة بالثناء على المؤمنين[٢].

وفي سياق هذه المقابلة جاء الطباق بين (الدنيا، والآخرة) ليحقّق مستوى من الربط بين نتائج الإيمان ونتائج الكفر، والآخرة مصداق لما موجود في الدنيا، فكانت الدلالة الناتجة عن هذا الطباق ضاربة في عمق نصّ السورة كلّه، وتكرار (لكم) في قوله تعالى: (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون) كان لتأكيد الثواب وعامل ربط أيضاً بين ما يشتهونه من أمورٍ ماديّة كالطعام وغيره وبين ما يتمنّونه من أمور معنويّة لا يستطيع الفكر إدراكها قبل عيانها في الآخرة.

وجاء قوله تعالى: (نزلاً من غفورٍ رحيم) للاحتراس، حتّى لا يظنّ ظانّ أنّ هذا العطاء الذي امتاز به المؤمنون في الآخرة كان من عند غير الله.

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) في ضلال القرآن: ٣١٢٠/٢٤.
(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٨٦.

نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

في النص الكريم جملة من الأشكال البديعيّة كانت مهمّة ومؤثرة في هذا النسيج القرآني الذي جاءت آياته استطراداً لبيان من هم (الذين قالوا ربّنا الله ثمّ استقاموا)، وتحوّل الكلام من الوصف إلى أسلوب التوصية، إذ طرح النص أكثر من ظاهرة سلوكيّة ليكون الكلام عامّاً من أجل ترغيب غير المؤمنين بهذه الصفات الحسنة التي هي من جنس الصفات الإنسانيّة الحميدة.

فقوله تعالى: (وقال إنّني من المسلمين) كان تتميماً لما تقدّمه، إذ على الرغم من أنّ الإيمان أو الدعوة إلى الله والعمل الصالح يدلّ على الإسلام، إلاّ إنّ الدعاء لمّا كان بالقول والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجّة، والعمل يكون للرياء والإخلاص، دلّ على أنّه لا بدّ من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك كلّه وأنّ العمل لوجهه[١].

وفي الآية (٣٤) يلحظ الطباق بين (الحسنة، والسيئة) وبين (عداوة، وولي)، والجناس بين (الحسنة، وأحسن)، وتكرار (لا) النافية، وقد تخلّلت هذه الأشكال البديعيّة الآية الكريمة وكانت ملمحاً بارزاً لتقديم المعنى المترابط بأحسن صوره، فقوله تعالى: (ادفع بالتي هي أحسن) تداخل الجناس مع الطباق لبيان أحد فروع مكارم الأخلاق، ولا يخفى ما في هذا الإيثار من الطباق بين (الحسنة والسيئة) والذي آذن بحذف مفعول (ادفع)، لأنّ المعنى قد حصر بينهما، ولمّا كانت الحسنة مدفوعاً بها عُرف أنّ المدفوع هو السيئة. وكانت نتيجة دفع السيئة بالحسنة أن يصبح من بينك وبينه عداوة كأنّه وليٌّ حميم، وعمد السياق إلى ابتداء التفريع ب (إذا) الفجائية التي تدلّ على المفاجئة في الزمن الحالي[٢]، وهذا من النتائج المترتبة كرد فعل حسن اتجاه هذا السلوك القويم.

وجاء تكرار الفعل (وما يلقّاها) وتكرار أسلوب القصر ليؤكّد عظم هذه الصفة، ويؤكّد أيضاً فضل الصبر وأهمّيته في تدارك العلاقات الاجتماعيّة من الانحلال، فدفع الحسنة بالسيئة هو من أعظم الصفات التي يكون أثرها واضحاً في تمتين العلاقات الاجتماعيّة ونفي البغضاء والشحناء بين الناس.

وحقّق الجناس التدرّج الدلالي المطلوب بين (ينزغنّك، ونزغٌ) من أجل إتمام معنى الحديث للمتصفين بالسلوك القويم، فالارتباط يجب أن يكون بالله عزّ وجلّ والاستعانة به لدفع نزغ الشيطان ووسوسته.

وفي الآية (٣٧) جملة من الأشكال البديعيّة كانت مطلوبة من السياق في هذه الآية الكريمة، فالطباق بين (الليل، والنهار) وبين (الشمس، والقمر)، لتكتمل بذلك المقابلة التي تشير إلى أنّ هذه الآيات الكونيّة من خلق الله، وجاء ترتيب هذه الآيات الكونيّة على سبيل مراعاة النظير، لأنّها أهمّ ما خلق الله، إذ لا حياة بدونها، وهي متّصلة بعضها ببعض في أوّل الخلق، إذ إنّ تعاقب الليل والنهار تابع لحركة الأرض حول الشمس.

وذكر هذه الآيات وإنّها من خلق الله نفي لعبادتها من قبل المشركين وتنزيه لله سبحانه وتعالى وتأكيد على قدرته التامّة، وجاء نظم الأربعة في سلك الآيات وصار كلّ واحد منها آية فعبّر عنه بضمير الإناث، وفيه إشارة إلى تناهي سفولها عمّا أهلوها لهنّ وذم عابديها بالإفراط في العبادة[٣].

وفي الآية أيضاً طباق السلب بين (لا تسجدوا، واسجدوا)، وفيه جناس أيضاً، وتكرار (للشمس والقمر) لنفي عبادتها وحصر العبادة لله عزّ وجلّ، ولبيان الحقيقة للذين أعرضوا عن قبول الإيمان، فجاءت كلّها متلاحمة مع السياق وتكشف

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصريّة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م : ١٥/ ٣٦٠.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/ ٢٩٢.

(٣) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م : ١٧/١٩٣.

بصورة واضحة عن اعتقاد أكثر الناس من المعرضين الذين يتوجّهون لهذه المخلوقات بالعبادة، وواضح فساد هذا الاعتقاد ممّا هو بيّن من سياق هذه الآية الكريمة.

وتكرار الطباق في الآية (٣٨) بين (الليل، والنهار) طرح طرحاً جديداً، فجاءت في سياق آخر بيّنت أن المستكبرين عن عبادة الله لا يتركون أثراً في الحياة العباديّة بنحو لا سأم منه ولا ملل[١]، أمّا قوله تعالى (وهم لا يسأمون) فجاء على سبيل الاحتراس، حتّى لا يُتوهّم أنّ الملائكة تسئم من العبادة.

وفي آخر آية من هذا القسم جاءت المقابلة بين إحياء النبات وإحياء الموتى لتدلّ أيضاً على قدرة الله سبحانه وتعالى، لذلك ذُيّلت هذه الآية بقوله تعالى: (إنّه على كلّ شيء قدير)، وكان هذا الربط بين هذين الظاهرتين متّصلاً مع ما سبق ذكره من بيان قدرة الله عزّ وجلّ وأنّه خالق كلّ شيء، فجاء ذكر ما يُبيّن قدرته سبحانه وتعالى متدرّجاً، ولا يخفى أهمّية الأشكال البديعيّة في بيان سياق هذه المعاني.

وفي الآيات انتقال من الخاص الذي هو القدرة على إحياء الموتى إلى العام الذي هو القدرة على كلّ شيء في قوله: (إنّه على كلّ شيء قدير)، وتلحظ تدرّجاً بالغ الدقّة في الدليل الذي يبدأ برؤية مألوفة جداً، وهي رؤية الأرض خاشعة، ثمّ رؤية الحياة وهي تدبّ فيها وتهتزّ، ثمّ إحياء الموتى، ثمّ القدرة على كلّ شيء، وكل حالة تسلّم إلى التي بعدها بطريقة ظاهرة جداً، وكأنّ الآية تأخذنا برفق شديد على مدرجة دليل ظاهر لتنتهي بنا إلى هذا الاعتقاد العظيم، الذي هو قدرة الله على كلّ شيء[٢].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾

يعود الحديث في هذا القسم من السورة الكريمة إلى القرآن الكريم وإلى المعرضين عنه، وهو يرتبط ارتباطاً وثيقاً بما سبقه خاصّة آيات القسم الأوّل ممّا جعل الرازي يقول: ((بل الحقّ عندي أنّ هذه السورة من أوّلها إلى آخرها كلام واحد))[٣]، فقد جاءت لفظة (آياتنا) على سبيل الإجمال بعد التفصيل، فكان الحديث عنها مفصّلاً فيما سبق، وهي آيات الليل والنهار والشمس والقمر وإحياء الموتى كإحياء النبات، وهذا الإجمال جاء لبيان أنّ الذين ينكرون هذه الآيات لا يخفون على الله سبحانه وتعالى، وأفاد التقسيم بعده التهديد لهؤلاء في قوله: (أفمن يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي آمناً يوم القيامة)، فكان على سبيل المقابلة بين هذين الفريقين، ثمّ يكون التهديد على أشدّه في قوله تعالى: (اعملوا ما شئتم إنّه بما تعملون بصير)، وهذا التهديد يناسب سياق أوّل الآية، وهو أعظم ما يكون من الوعيد[٤]. وكان للجناس بين (اعملوا، وتعلمون) دورٌ في بيان هذا الغرض ومنسجمٌ مع سياق الآية الكريمة.

وفي الآية (٤١) كان التكرار المعنوي محوراً مهمّاً من محاور الربط، (فالذكر والكتاب) هما اسمان مرادفان للقرآن الكريم، وهو خطاب موجّهٌ للذين أعرضوا عنه، وكان وصف الكتاب بأنّه عزيزٌ إجمال وتفصيله في الآية التي بعده (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عزيز)، والطباق بين (من بين يديه، من خلفه) أفاد أنّه منزّه وبعيدٌ عن الشبهات ومحكم، ولأنّ السياق هنا كان لأجل تنزيه القرآن لذلك أتبع الله عزّ وجلّ لفظة (تنزيل) بصفتي (حكيم

(١) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم: ١٩٦/٤.
(٢) ينظر: ال حم، غافر – فصّلت، دراسة في أسرار البيان: ٤٤٤.
(٣) التفسير الكبير: ٢٧/ ١٣٣.
(٤) ينظر: المنزع البديع: ٤١٨.

حميد)، أمّا في الآية (٣٢) فأعقب لفظ (نزلاً) بصفتي (غفور رحيم) لأنّ السياق فيها يختلف، إذ كان الحديث يدور فيها عن الذين آمنوا وأنّ الله هو وليّهم في الدنيا والآخرة.

أمّا في الآيتين (٤٣، ٤٤)، فنحن أمام سياق جديد من الأفكار المطروحة في مقدّمة السورة والمفصّلة في مقاطعها المختلفة، السياق الجديد هو أنّ القرآن الكريم نزل بلغة عربيّة يخبرها المعاصرون لرسالة الإسلام، وهذا ما نطقت مقدّمة السورة به، وهذا المقطع يطرح ظاهرة اللغة التي نزل بها القرآن فيوضّح بأنّ المنحرفين كان من الممكن أن يعترضوا على لغة القرآن فيما لو كانت لغته أعجميّة : (أأعجميّ وعربي)، ممّا يعني أنّهم – كما أوحى النص بذلك– لن يؤمنوا برسالة الإسلام في الحالين، بدليل أنّهم مع مواجهتهم لغته العربيّة لم يؤمنوا به أيضاً[١].

وتخلّلت هذين الآيتين جملة من الأشكال البديعيّة أسهمت في الترابط الدلالي فيما بينها أو مع النص بمجمله، وبيانها كالآتي:

– الجناس بين (يقال–قيل).

– طباق بين (ذو مغفرة–ذو عقاب).

– طباق بين (أعجمي–عربي).

– طباق بين (هدى–عمى).

– طباق السلب بين (الذين آمنوا–الذين لا يؤمنون).

– الجمع ثمّ التقسيم واللف والنشر في قوله: (ما يقال لك إلاّ ما قد قيل للرسل من قبلك إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم)، ففي جملة (إنّ ربّك لذو مغفرة وذو عقاب أليم) الجمع ثمّ التقسيم، الجمع في لفظ (ربّك)، والتقسيم في (لذو مغفرة) للمؤمنين ومن لحق بهم، (وذو عقاب أليم) للكافرين ومن لحق بهم أيضاً.

أمّا اللف والنشر ففي ((قوله (ما يقال لك) يجمع قائلاً ومقولاً له، فكان الإيماء بوصف (ذو مغفرة) إلى المقول له، ووصف (ذو عقاب أليم) إلى القائلين)، وهو جارٍ على طريقة اللف والنشر المعكوس، وقرينة المقام تردُ كلاً إلى مناسبه))[٢].

فالأشكال البديعيّة في الآيتين جعلت العلاقات المفهوميّة مترابطة، وأصبحت العلاقات فيما بينها علاقات تدرّج، أي أنّ تحُقّق إحداهما يتوقّف على حدوث الأخرى، فتكون جملة فرعيّة أو أكثر مرتبطة بجملة أصليّة[٣]. واتصال نظم الكلام من أوّل السورة إلى هنا، وتناسب تنقّلاته بالتفريع والبيان والاعتراض والاستطراد يقتضي أنّ قوله: (ولو جعلناه قرآناً أعجميّاً لقالوا...) تنقّلٌ في درج إثبات أنّ قصدهم العناد فيما يتعلّلون به ليوجّهوا إعراضهم عن القرآن، ومعنى الآية متفرّع على ما يتضمّنه قوله: (كتابٌ فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون)، وهذا إبانة على أن هؤلاء القوم لا تجدي معهم الحجّة ولا ينقطعون عن المعاذير لأنّ جدالهم لا يريدون به تطلّب الحق، وما هو إلاّ تعنّت لترويج هواهم[٤].

وفي قوله تعالى: (قل هو للذين آمنوا هدىً وشفاء)، كلمة (قل) ((ترجع بنا إلى رأس السورة (قل إنّما أنا بشرٌ مثلكم) (قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض) (فقل أنذرتكم)، وأمثال هذه الكلمات التي تتكرّر تشدّ بعض أعضاء الكلام ببعض وتشدّ روابطه وتجعله ممسكاً بعضه ببعض))[٥].

وأيضاً يظهر الاتصال مع القسم الأول في قوله: (في آذانهم وقرٌ وهو عليهم عمى)، فهي متّصلة بأوّل السورة مع قوله تعالى: (وفي آذاننا وقرٌ ومن بيننا وبينك حجاب)، وأسّس هذا التكرار للعلاقات الدلاليّة الشديدة التماسك بين أجزاء السورة وهي تنمو منسجمة مع هدفها العام.

---

(١) ينظر: التفسير البنائي للقرآن الكريم: ٤/ ١٩٨.

(٢) التحرير والتنوير: ٢٤/ ٣١١.

(٣) ينظر: الانسجام في سورة النور، نوال لخلف، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات /جامعة الجزائر، ٢٠٠٧م: ٥٧.

(٤) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٤/ ٣١١-٣١٢.

(٥) ال حم ، غافر- فصّلت، دراسة في أسرا البيان: ٤٥٤-٤٥٥.

وجاء قوله تعالى: (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) اعتراض، لتسلية النبي صلّى الله عليه وآله على تكذيب المشركين وكفرهم، فقد أختلف في القرآن كما اختلف في التوراة، وهذا راجع إلى قوله تعالى: (ما يقال لك إلاّ ما قد قيل للرسل)، بذكر فرد من أفراد العموم وهو موسى عليه السلام[١].

وكانت المقابلة في قوله تعالى: (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) منسجمة مع سياق تسلية الرسول صلّى الله عليه وآله، بمعنى أنّ الذين أعرضوا عن القرآن وعن العمل بأحكامه سيجنون هم وبال ذلك الإعراض، فالإساءة مقرونة بهم ولا تضرّ من عمل صالحاً، وكلٌّ سيجزى بعمله.

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

هذا القسم من السورة الكريمة يؤكّد حقيقة الانحراف العقائدي الذي هو سمة المعرضين عن القرآن، إذ هم في ريب من قيام الساعة، وصوّر هذا القسم بدقّة ريبهم واضطرابهم،، ففي قوله تعالى: (وما أظنّ الساعة قائمةً ولئن رُجعت إلى ربّي إنّ لي عنده لَلحسنى)، بيان لهذا الاضطراب، فرغم ظنّه أنّ الساعة غير قائمة فهو يؤكد أنّ الله سيجازيه بالحسنى في ذلك اليوم، ونقل هذا الحوار من داخل نفوس هؤلاء يؤكّد ما هم فيه من توجّس وشك وانحراف، وقد بين الله سبحانه وتعالى حقيقة شكّهم في آخر الآية بقوله: (ألا إنّهم في مريةٍ من لقاء ربّهم)، ويرتبط هذا القسم بالقسم السابق الذي انتهى بتأكيد حقيقة شكّهم في قوله تعالى: (وإنّهم لفي شكٍّ منه مريب)، وأيضاً يرتبط مع باقي السورة، لأنّه يؤكّد على صفة من صفات المعرضين وهي الشكّ بالساعة واليوم الآخر، وهذا يجعلهم خارج إطار الإسلام.

ويلحظ أيضاَ، أنّ الأشكال البديعيّة في هذا القسم كانت سمة تعبيريّة مميّزة أسهمت في تدرّج القول الإلهي وانسجامه، وشكّلت علاقات دلاليّة كفوءة ربطت نسيج النص بعضه ببعض، فالخطاب في الآية(٤٧) كان موجّهاً إلى المعرضين عن القرآن لبيان شكّهم بقيام الساعة، ((وردّ عليهم بطريق الأسلوب الحكيم، أي الأجدر أن تعلموا أن لا يعلم أحد متى الساعة وأن تؤمنوا بها وتستعدّوا لها))[٢]، فأسلوب الحكيم كان علامة دلاليّة مهمّة ربطت مطلع هذا القسم بالأقسام السابقة له، إذ الحديث فيها يدور عن القرآن الكريم وعن المعرضين عنه، وأيضاً يُرصد في هذه الآية الكريمة الشكل البديعي مراعاة النظير بين (ما تخرج من ثمراتٍ من أكمامها) و (ما تحمل من أنثى) و(لا تضع إلاّ بعلمه)، وأفاد توجيه العلم بوقت الساعة ((إلى الله بذكر نظائر لا يعلمها الناس، وليس علم الساعة بأقرب منها، فإنّها أمور مشاهدة ولا يعلم تفصيل حالها إلاّ الله، أي فليس في عدم العلم بوقت الساعة حجّة على تكذيب من أنذر بها))[٣].

والآيات الثلاثة (٤٩، ٥٠، ٥١) جاءت على سبيل التتميم للآية التي قبلها، لأنّك إذا نظرت إليها وهي مقترنة بقوله سبحانه: (وظنّوا ما لهم من محيص)، وجدتها تبيّن السرّ الذي أفضى بهم إلى هذا البلاء الذي لا فكاك لهم منه، وإذا نظرت إليها– وهي من إعجاز السورة الرادّة إلى صدرها والشاملة لكلّ ما فيها– وجدت السورة تعالج أحوال هؤلاء المتمرّدين على الحق والرافضين والمعاندين له من بعد ما تبيّنت آياته وكانت كالشمس ليس بينها وبين العين حجاب[٤].

---

(١) ينظر : التحرير والتحبير: ٣٧١/٢٤.
(٢) التحرير والتنوير: ٥/٢٥.
(٣) المصدر نفسه: ٢٥/ ٥-٦.
(٤) ينظر: ال حم ، غافر –فصّلت ، دراسة في أسرار البيان :٤٨١.

فالشكل البديعي التتميم أسهم في انسجام هذه الآيات مع بعضها ومع باقي السورة بصورة أشمل، فضلاً عن أنّه يلحظ فيها أشكالاً بديعيّة أخرى حقّقت الاستمراريّة الدلاليّة في هذا القسم. وبيانها كالآتي:

- المقابلة بين (لا يسئم الإنسان من دعاء الخير) و (إن مسّه الشرّ فيئوس قنوط).
- المقابلة أيضاً بين (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه) و (إذا مسّه الشرّ فذو دعاءٍ عريض).
- الطباق بين (الخير والشر) وبين (رحمة وضرّاء).
- الجناس بين (أعرض-عريض).
- تكرار (مسّه الضرّ) الآية (٤٩)، (مسّه الشر) الآية (٥١)، (من بعد ضراء مسّته) الآية (٥٠).

وفي الآية (٥٢) التي بدأت بقوله تعالى: (قل أرئيتم إن كان من عند غير الله ثمّ كفرتم به)، رجع فيها الخطاب إلى الذين نزل فيهم القرآن، وهو مرتبط بأول السورة الكريمة، وقد ردّ عجزها على صدرها، فكان قوله سبحانه وتعالى في أوّل السورة (قل إنّما أنا بشر مثلكم يُوحى إليّ إنّما إلهكم إله واحد)، وأكّد ذلك بقوله: (قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين)، وقوله أيضاً (فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة)، فبدا التلاحم والانسجام بين أوّل السورة وآخرها، ليؤكّد كلّ ذلك أنّ الرسول صلّى الله عليه وآله مبلّغ عن ربّه، وأنّ القرآن هو كلام الله عزّ وجلّ فلا دعوى لإعراضكم عنه.

وجاءت الآيتان الكريمتان (٥٣، ٥٤) على سبيل التتميم للآية التي سبقتهما، ففيهما عناية بذكر آيات الله المعجِزَة والتي تتجلّى في الآفاق وفي الأنفس، ورغم ذلك فهم في شقاق وفي شكّ من لقاء الله عزّ وجلّ.

وصدر الآية الأخيرة (ألا إنّهم في مريةٍ من لقاء ربّهم) راجعاً رجوعاً ظاهراً إلى مطلع السورة، وإلى قوله سبحانه: (فأعرض أكثرهم) وقالوا في قلوبنا أكنّةٌ) والذين قالوا (لا تسمعوا لهذا القرآن)[١]، ويطالعك هذا الربط في مواطن كثيرة من السورة الكريمة لبيان رفض هؤلاء للقرآن وشكّهم به.

والجملة الأخيرة من السورة (إنّه بكلّ شيء محيط) جاء على سبيل التضمين، فأنت تجد أنّ هذه الجملة متضمّنة لمعنى كلّ آيةٍ في السورة الكريمة، وهذا من غريب البيان، لأنّ آخر جملة في السورة حاملة لكلّ ما جاء في السورة[٢].

يظهر ممّا سبق أنّ الأشكال البديعيّة أدوات فاعلة في إنتاج النصوص المنسجمة، وأنّ لها وظائف نصيّة على المستوى الصياغي الجمالي والمستوى الدلالي الفكري، وظهر هذا المعنى ممّا تقدّم من الحديث عن سورة فصّلت، فمن خلال رصد الأشكال البديعيّة فيها وتحليلها على المستوى النصّي، بدا بشكل واضح أثرها في تقوية الربط وتنمية الدلالة بين آياتها وأقسامها على أحسن ما يكون النظم، واستعمال الأشكال البديعيّة بهذا التنظيم وهذه الدقّة هو مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم، ودليل على فرادة أسلوبه الذي أعجز أصحاب البلاغة والفصاحة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- ❖ الاستهلال (فن البدايات في النص الأدبي)، ياسين النصير، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٣م.
- ❖ الأقصى القريب في علم البيان، محمد بن محمد بن عمرو التنوخي، مطبعة السعادة، ١٣٢٧هـ.
- ❖ أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، د. عبد الله محمود شحاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.
- ❖ بديع القرآن، ابن أبي الإصبع المصري (ت٦٥٤هـ)، تحقيق: حفني محمد شرف، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
- ❖ البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصيّة، د. جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م .
- ❖ البديع في ضوء أساليب القرآن، د. عبد الفتاح لاشين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٩م.

[١] ينظر: ال حم ، غافر- فصّلت، دراسة في أسرار البيان: ٥٠٣.
[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٥٠٤.

❖ البرهان في علوم القرآن: الإمام بدر الدين أبي عبد الله الزركشي (ت٧٩٣هـ)، قدّم له وعلّق عليه وخرّج أحاديثه: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٧م .
❖ بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، عالم المعرفة، العدد/١٦٤، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مطابع السياسة في الكويت، آب، ١٩٩٢م.
❖ البلاغة العربية، قراءة أخرى، د. محمد عبد المطلب، دار نوبال للطباعة، القاهرة، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان، ط٢، ٢٠٠٧م.
❖ البلاغة والأسلوبية، د. محمد عبد المطلب، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م .
❖ بناء الأسلوب في شعر الحداثة، التكوين البديعي، د. محمد عبد المطلب، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥م.
❖ تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: لأبن أبي الإصبع المصري (ت: ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: د. حنفي محمد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية القاهرة، ١٩٦٣م.
❖ التفسير البنائي للقرآن الكريم، د. محمود البستاني، مؤسسة الطبع التابعة للآستانة الرضويّة المقدّسة، ١٣٨٢ش.
❖ تفسير التحرير والتنوير، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسيّة للنشر، ١٩٨٤م .
❖ التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي، مطبعة مكتب الإعلام الإسلاميّة، مركز النشر، مكتب الإعلام الإسلامي، ط٣، ١٣١١هـ.ق.
❖ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الكتب المصريّة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧م.
❖ ال حم، غافر– فصلت، دراسة في أسرار البيان، د. محمد محمد موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٩م.
❖ الخروج من التيه، دراسة في سلطة النص، د. عبد العزيز حمودة، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد/ ٢٩٨، نوفمبر، ٢٠٠٣م.
❖ خصائص الحروف العربيّة ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.
❖ دراسات لغويّة تطبيقيّة بين البنية والدلالة، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، (د. ط)، (د. ت).
❖ الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، د. أشرف عبد البديع عبد الكريم، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٨م.
❖ دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمد عبده ومحمد محمود الشنقيطي، علّق عليه: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠١م.
❖ دينامية النص، تنظير وإنجاز، محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، والدار البيضاء، ط٢، ١٩٩٠م.
❖ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
❖ سيميائية النص الأدبي، أنور المرتجى، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٨٧م.
❖ العلاماتيّة وعلم النص، نصوص مترجمة لمجموعة مؤلفين، إعداد وترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٤م.
❖ علم البديع، د. عبد العزيز معتوق، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤م.
❖ علم البديع، دراسة تاريخية وفنيّة لأصول البلاغة ومسائل البديع، د. بسيوني عبد الفتاح فيُود، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، بمصر، ودار المعالم الثقافية للنشر والتوزيع بالمملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٩٨م.
❖ علم البديع، رؤية جديدة، د. احمد احمد فشل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٦م.
❖ علم الدلالة، د. احمد مختار عمر، مكتبة دار العروبة للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢م.
❖ علم اللسانيات الحديثة، د. عبد القادر عبد الجليل، دار الصفاء للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

❖ علم النص ونظريّة الترجمة، البروفسور يوسف نور عوض، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرّمة، ١٤١٠هـ.
❖ علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري، الشركة المصرية العالمية للنشر–لونجمان، ١٩٩٧م.
❖ الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، دار عمار–عمان، ط٢، ١٩٨٦م.
❖ القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر للتوزيع، بيروت، ١٩٩٩م.
❖ كتاب الصناعتين، الكتابة والشعر، لأبي هلال العسكري (ت:٣٩٥هـ)، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٨م.
❖ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ٢٠٠١م.
❖ لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة، (د.ت).
❖ لسانيّات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩١م.
❖ مدخل إلى علم اللغة النصي، فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، مطابع جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٩م.
❖ المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، أبي محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق: علاء الغازي، مكتبة المعارف الرباط، ١٩٨٠م.
❖ الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطبأطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧٣م.
❖ النص بنياته ووظائفه، مدخل أولي إلى علم النص، من نظريّة الأدب في القرن العشرين، ترجمة: د. محمد العمري، أفريقيا الشرق– الدار البيضاء، ١٩٩٧م.
❖ النص والخطاب والاتصال، د. محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، ٢٠٠٥م.
❖ النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند ودريسلر، ترجمة: تمام حسّان، دار الكتب، القاهرة–مصر، ١٩٩٨م.
❖ نظرية علم النص، رؤية منهجيّة في بناء النص النثري. د. حسام أحمد فرج، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٧م .
❖ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.

المراجع الأجنبيّة

❖Linguistic and literary, Mohammad al–jazeyery, studies, mouton publishing, the hague, paris, New York.

الرسائل الجامعيّة

❖ الاتساق والانسجام في القرآن الكريم: مفتاح بن عروس، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، ٢٠٠٧م–٢٠٠٨م.
❖ الاتساق والانسجام في سورة الكهف، محمود بوستة، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ٢٠٠٩م.
❖ الانسجام في سورة النور، نوال لخلف، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب واللغات /جامعة الجزائر، ٢٠٠٧م.
❖ سورة فصلت، دراسة بيانية، محمد صالح محمد حابش العلياني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى بمكة المكرمة/ كلية اللغة العربية، ١٤٢٢هـ.

❖ معاني التكرار النفسيّة لفنون البديع في القرآن الكريم، أسعد جواد يوسف الخفاجي، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب/ جامعة القادسية، ٢٠٠٧م.

بحوث (المجلاّت والدوريّات)

❖ أثر السياق في فهم النص القرآني، عبد الرحمن بو درع، مجلة الإحياء المغربيّة، عدد/ ٢٥، جمادي الثانية ١٤٢٨هـ- يوليو ٢٠٠٧م.

❖ بنية النص الكبرى، د. صبحي الطعان، مجلة عالم الفكر، العدد/٢، ديسمبر، مصر، ١٩٩٤م.

❖ السياق والنص، استقصاء دور السياق في تحقيق التماسك النصي: فطومة لحمادي، مجلة كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعية، جامعة محمد خيضر- بسكرة، الجزائر، العدد/ ٢-٣، ٢٠٠٨م.